

أولادنا همزنا بالحب

رشدنا العسكيري

سهم الكسرييرا



Looloo

www.dvd4arab.com

١ - الصندوق الأسود ..

رفع مدير الخبايا المصرية عينيه في هدوء ، بتأمل رجل الخبايا الواقف أمامه ، بقامته الفارحة ، وقوامه المشوق ، وكفيه العريضين ووجهه الوديع الهادي ، الذي يجمع في مزيج عجيب ما بين الحزم والقوة والسخرية والاستهتار ، ثم أشار إلى المقعد المجاور له ، وقال وهو يحول عينيه عن رجل الخبايا :
- اجلس يا (ن - ١) .. هناك مهمة عاجلة ، تحتاج إلى رجل مثلك .

جلس (أدهم صبرى) في هدوء ، وابتسم وهو يقول :
- إنسى أتشوق لذلك ياسيدى ، فمئذ عودتى إلى الصفوف في الشهر الماضى ، لم تستد إلى أية مهام مثيرة* .
مط مدير الخبايا شفتيه ، وغمغم في هدوء :
- مهمتك هذه المرة ستكون أكثر من مثيرة يا (ن - ١) .
ثم اعتدل ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد :

(*) راجع قصة (مهمة خاصة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

- أمس فجزاً عبرت مجالنا الجوى طائرة استطلاع وتصوير مجهولة الهوية ، على ارتفاع شاهق ، وأطلقنا خلفها صواريخنا المضادة للطائرات ، فراوغت ، وناورت في مهارة ، ونجحت في الإفلات منها ، ولم يكن أمام قوات الدفاع الجوى - حينئذ - إلا اعتراضها بطائرات مقاتلة ، فأصابتها وأسقطتها .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :
- من أسقط من ؟

غمغم مدير الخبايا في استكبار :

- طائراتنا أسقطتها بالطبع يا (أدهم) .. هل تشك في كفاءة مقاتلينا ؟

هز (أدهم) كفيه ، وقال :

- لا بالطبع ، ولكننى ظننت أن هذه النتيجة تلى وجود مهمة ما .

قلب مدير الخبايا كفيه ، وقال :

- كان هذا هو المفروض يا (ن - ١) ، ولكن الطائرة لم تسقط هنا .

عاد حاجبا (أدهم) يتعقدان في تساؤل ، وتابع مدير الخبايا في اهتمام بالغ :

— حينما لحقت طائراتنا بطائرة التجسس ، واشتبكت معها ، كانت تلك الأخيرة قد وصلت إلى شاطئ الإسكندرية ، وعندما أصيبت ، أمكنها مواصلة انطلاقها بعض الوقت ، ولم تستطع مقاتلاتنا تعقبها ، نظرًا لخروجها من مجالنا الجوي ، ولكنها لم تلبث أن اشتعلت وسقطت بعد جزر (أبول) ، وانفجرت أمام السواحل اليوغوسلافية ، وهوت أشلائها في البحر (الأديبات) .

صمت مدير المخابرات لحظة ، ولم يحاول (أدهم) التعليق بكلمة واحدة ، حتى عاد المدير يستطرد :

— في كل الطائرات المقاتلة ، يوجد ما يسمى بالصندوق الأسود ، وهو ذلك الجهاز الذي يسجل كل ما مر بالطائرة منذ انطلاقها ، وحتى عودتها ، وهذا الصندوق الأسود مقاوم لكل أنواع الانفجارات ، وفي حالة طائرة التجسس هذه ، سيخوى الصندوق الأسود كل ما التقطته الطائرة من معلومات وصور عن خطوطنا الدفاعية .

غمغم (أدهم) وقد فهم مهمته :

— سنعثر عليه ياسيدى .

ابتسم مدير المخابرات لقطنة (أدهم) ، وقال :

— لن تكون وحدك من يفعل .. أو من يحاول أن يذ...
(ن - ١) .

ثم زفر في قوة ، قبل أن يردف في اهتمام وقلق :

— لقد أكدت معلوماتنا أننا لم نكن أول هدف لطائرة التجسس هذه .. فلقد انطلقت من نقطة مجهولة ، لتتحلق فوق الأراضي السوفيتية ، و(إيران) و(العراق) والجزء الشمالي من المملكة العربية السعودية ، ثم مصر ، حيث انتهت رحلتها بإسقاطنا لها ، وهذا يعنى أن صندوقها الأسود سيحمل بالضرورة بعض المعلومات عن هذه الدول ، وأن بعضها لن يفرط في تلك المعلومات ، التي قد تضر بأمنه .

بدأت المهمة تأخذ أبعادًا جديدة في عيني (أدهم) ، وهو يغمغم في اهتمام :

— ستكون المعركة عنيفة إذن .

هزّ مدير المخابرات رأسه ، وقال :

— في اجتماع لوزراء الخارجية أمس ، قرّرت (العراق) و(السعودية) ترك هذا الأمر لخبراتنا ، وعلى الجانب الآخر قرّرت (إيران) و(روسيا) إسناد الأمر للمخابرات السوفيتية (كى . جى . فى) ، ولقد اختارت (روسيا) لهذه المهمة أخطر وأشرس رجالها على الإطلاق .

ثم أردف في لهجة تؤكد خطورة الرجل :
— اختارت (سيرجى كوروبوف) .

تألفت عينا (أدهم) في جذل ، وتراقصت ابتسامة شبه
ساخرة على شفتيه ، وهو يقول :

(الكوبرا)؟! .. لقد قرأت عن هذا الرجل كثيرا في
ملفاتنا ياسيدى .. ولقد تميت مواجهته دائما .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول :

— إنها ليست لعبة يا (ن - ١) .. فالمخابرات السوفيتية

لم تطلق على (سيرجى كوروبوف) اسم (الكوبرا) عينا ،
فهو يفوق تلك الحية الضعيفة شراسة وقوة ، وهو بارد كتلوج
(سيريا) ، التي ينتمى إليها ، قاس كالفسولاذ ، قوى
كالأسد ، حاد الذكاء .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول في سخرية :

— إنه غريم مثالي ياسيدى .

مطأ مدير المخابرات شفتيه ، وغمغم وهو يهز رأسه :

— يدهشنى استتارك بمثل هذا الرجل يا (ن - ١) ،

فستعملان هذه المرة في (يوجوسلافيا) ، وهو ينتمى إليها
بأكثر منكما ، وسيزيده هذا قوة وشراسة .

نهض (أدهم) من مقعده ، وسأل في اهتمام :
— ماذا تعنى كلمة (مستعملان) هذه ياسيدى ؟ هل

تراجعت (منى) في استقالتها ؟ (*)

هز مدير المخابرات رأسه نفيا ، وقال :

— ستعمل مع زميل هذه المرة يا (أدهم) .

وسرت في ملامحه سحابة عابرة من قلق غامض ، وهو
يستطرد :

— الملازم (خالد) .. أحدثت من انضم إلى سلك

المخابرات .

ثم وضع يده على كتف (أدهم) ، وأردف في لهجة
عاطفية أدهشت هذا الأخير :

— أريد منك أن تصنع منه رجل مخابرات لا يشق له غبار
يا (أدهم) .

غمغم (أدهم) ، وهو يفرس في وجه مدير المخابرات في
اهتمام :

— إنها مهمة مزدوجة إذن .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهز رأسه نفيا في قوة ،
وهو يقول في صرامة :

(*) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨)

— لا .. إنها مهمة واحدة ، ستحاولان العثور على الصندوق الأسود فحسب .

سأله (أدهم) في هدوء :

— مهما كان الثمن ؟

ارتفع حاجبا مدير المخابرات في انفعال واضح ، ثم عادت

إليه صرامته ، وهو يجيب :

— نعم .. مهما كان الثمن .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) في هدوء :

— سنفعل ياسيدي .. بإذن الله .



٢ — الزميلان ..

استنشق (أدهم) هواء (يوجوسلافيا) المائل إلى البرودة ، في العاصمة (بلجراد) ، ثم التفت إلى الشاب الذي يجاوره ، والذي يستند في هدوء إلى سور الكورنيش الأتيق ، المطل على نهر (الدانوب) وتأمل في ملاحظه للمرة الثانية في اهتمام ..

كان في أوائل العشرينات ، وسيما مجعد الشعر ، قصيره ، له بشرة سمراء ، وعينان عسليتا اللون ، حليق الوجه ، طويل القامة ، ممشوق القوام ..

وكان يبدو هادئا ، كأنه لا يدري شيئا عن خطورة مهمتهما ، مما جعل (أدهم) يسأله في هدوء مماثل :

— أهي أول مهمة فعلية لك يا (خالد) ؟

أوما (خالد) برأسه في هدوء ، وأجاب في بساطة :

— نعم .. لقد اجتزت كل الاختبارات بدرجة ممتاز ، وتلقيت

تدريبات خاصة ، ومكثفة لمدة عام كامل في مدرسة المخابرات ،

ونجحت في كل المهام المدروسة ، التي قمت بها ، ولكنها أول مرة أعمل فيها على الطبيعة .

ابسم (أدهم) ، وقال :

— لقد قرأت تقاريرك كلها يا (خالد) ، وهى تبشر

بمستقبل رائع في عالم المخابرات ، ولكن

اعتدل وهو يستطرد في اهتمام :

— المهام الفعلية أمر مختلف ، فمن سواجهم هذه المرة

لن يكتفوا بكتابة التقارير ، كما كان يحدث في المهام الوهمية ، ولن

تكون رصاصاتهم من نوع (الفشنك) ، بل إنك سواجه

رجالاً لا تعرف قلوبهم الرحمة ، ورصاصات لن تتردد في

اختراق جسدك ، إذا ملاحظ لها منه لفرقة .

ابسم (خالد) ، وهو يقول :

— هل تحاول إخافتى بذكر هؤلاء الأشرار ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا يوجد أشرار في عالم المخابرات يا (خالد) ، فالكل

أخيار ، لأنهم يقاتلون من أجل أوطانهم ، ولكن الشر قد

يكمن في أسلوب وطريقة القتال .

غمغم (خالد) في ضجر واضح :

— سأحاول دراسة ذلك ، حينما تنتهى من مهمتنا .

صمت (أدهم) لحظة ، وقد أثار أسلوب الملازم الشاب

ضيقه ، ثم قال بلهجة حازمة :

— حسنًا .. إننا لن نضيع وقتنا .. سنذهب فورًا إلى

(سبيلت) على ساحل البحر الأدرياتي ، فسنحتاج إلى

العوص ، بحثًا عن الصندوق الأسود .

اعتدل (خالد) ، وقال في اهتمام :

— هل تعتقد أن (الكوبرا) سيلجأ إلى ذلك أيضًا ؟

مط (أدهم) شفثيه ، وغمغم في هدوء :

— ليس وحده يا (خالد) .. سنواجهه جهازيين

للمخابرات على الأقل .

ثم أردف في سخرية :

— ستكون المعركة حامية الوطيس .

التقط رجل مربع الوجه ، عريض الفك ، أشقر الشعر ،

قصيره ، زجاجة من الفودكا ، وصب منها القليل في كوب

كريستالى صغير ، ورفع الكوب إلى عينيه الزرقاويين

الضيقتين ، وكأنه يبعث فيه بعضًا من برودتهما القاسية ، ثم

تذوقه بشفثيه ، قبل أن يمطئهما ، ويقول في برود :



النقطة رجل مربع الوجه ، عريض الفك ، أشقر الشعر ، قصيره ،
زجاجة من الفودكا ، وصب منها القليل في كوب كريستالي صغير ..

— ليست كمثيلتها في (موسكو) ، ولكن لا بأس بها .
أجابه شاب نحيل ، تشف لحينه الذهبية ، وملامحه الباردة
عن أصله البلطيقى :

— إننى أحمل لك خيراً مثيراً أيها الرفيق (سرجى) .
أدار إليه (سرجى كوربون) عينيه الباردتين كالثلج ،
وقال في هدوء عجيب ، دون أن تهتز خلعته واحدة في وجهه
الجامد :

— هل وصل رجل المخابرات المصرى إلى هنا ؟
ظهرت الدهشة على وجه الشاب النحيل ، وغمغم في
خبرة :

— نعم أيها الرفيق (سرجى) .. لقد وصل إلى
(سبيلت) منذ دقائق ، وبصحبتة شاب في منتصف
العشرينات ، هل تعلم من هو رجل المخابرات المصرى ، الذى
كلفته المخابرات المصرية العثور على الصندوق الأسود ؟
ارتشف (سرجى) بعض الفودكا في هدوء ، وقال
وكأنما الأمر لا يعنيه :

— دعنى أحن يا عزيزتى (ألكسندروف) .. إن العثور
على الصندوق الأسود مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد ،

فالصندوق يرقد هنا ، في قرار البحر ، أمام شاطئ
(سبلت) ، والسلطات اليوجوسلافية تبحث عنه في اهتمام
بالغ ، بعد أن التقطت أجهزتها انفجار الطائرة أمام سواحلها ،
ونحن أيضاً نبحث عنه ، وكذلك مغامرات تلك الدولة
الجهولة ، التي تخصصها طائرة التجسس ، وهذا يحيل المهمة إلى
بند المهام المستحيلة .. إذن فالرجل المناسب الوحيد لمثل هذه
المهمة هو ذلك الذي انتهك حرمة الاتحاد السوفيتي مرتين
فأسقط طائرانا في واحدة(*) ، وفر من معتقل (سيريا) في
الثانية(**) ، وأعنى به (أدهم صبرى) .

هتف (ألكسندروف) في مزيج من الدهشة والإعجاب :
— يا للشيطان !! .. هذا صحيح أيها الرفيق (سيرجي) ..
كيف تعلم كل هذا ؟

لوح (سيرجي) بكفه في لامبالاة ، وكأن ذلك لا يحتاج
إلى تفسير ، فعاد (ألكسندروف) يسأل في اهتمام :

— هل نعمل على التخلص منه ؟
ابتسم (سيرجي) ابتسامة بالغة الحفوت ، عادت
بعدها ملامحه إلى برودها ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الجليد الدامي) .. المغامرة رقم (٥) .

(**) راجع قصة (القضاة الجليدية) .. المغامرة رقم (٤٥) .

— يالك من أحق متعجّل يا (ألكسندروف) !! إن
(أدهم صبرى) سيبدل أقصى جهده للعثور على الصندوق
الأسود ، وأنا واثق من أنه سيحصل عليه ، فلتركه يفعل
إذن ، وليقاتل هو ويناور ، وسنكتفى نحن بمراقبته في دقة ،
وسنحصى أنفاسه ، حتى يجد الصندوق ، وعندئذ
اكتفى بإشارة واضحة من يده ، تكمل عبارته ، فابتسم
(ألكسندروف) ، وغمغم في النهار :

— نعم أيها الرفيق (سيرجي) ، ستركه حتى يجوز
الصندوق ، ثم نقتله ، ونحصل نحن على الصندوق الأسود ..
هذا عظيم .. عظيم أيها الكوبرا .

تطلع (خالد) من نافذة حجراته بالفندق ، إلى شاطئ
(سبلت) ، ومطّ شفتيه ، وهو يغمغم في ضيق :

— المهمة تبدو للوهلة الأولى مستحيلة يا سيادة المقدم ،
فالشرطة اليوجوسلافية تملأ الشاطئ ، وعمليات البحث عن
حطام الطائرة لا تتوقف ، والتسلل عبر كل هذا النطاق
مستحيل ، بالنسبة لأجنيبين مثلنا .

ثم التفت إلى حيث يجلس (أدهم) ، وأردف في اهتمام :

— أليس كذلك ؟

ولكن حاجيه ارتفعا في دهشة ، وهتف :

— يا إلهي !!.. كيف فعلت هذا ؟

كان (أدهم) قد أبدل ملاحظه في مهارة ، فاكسب شعره لونا ذهبيا ، وتألقت عيناه بلون أزرق جميل ، وحملت شفاته شاربنا كئا ، من لون نفس الشعر ، ابتسم وهو يقول :

— لا تنفر فاك إلى هذا الحد يا (خالد) ، فهو تنكر بسيط للغاية .

لوح (خالد) بكفه ، وهو يغمغم في مزيد من الدهشة :

— ولكنني أدت عيني عنك لعشر دقائق لاغير .

هز (أدهم) كفيه ، وقال في لامبالاة :

— إنها تكفي وتزيد يا زميلي العزيز ، ألم أقل لك إنه تنكر

بسيط للغاية .

ثم أردف باللغة اليوجوسلافية :

— أمامك الآن مواطن يوجوسلافي مخلص .

ضحك (خالد) ، وهو يقول بالعربية :

— ماذا تظن أنا سنفعل ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— سنفوس إلى أعماق البحر الأدرياتي يا زميلي العزيز ،

وسنفعل ذلك في منتصف الليل تماما .

سأله (خالد) في اهتمام :

— وهل تعتقد أننا سنعثر على الصندوق الأسود ؟

هز (أدهم) كفيه ، وقال في بساطة :

— سنحاول يا زميلي العزيز .

ثم تألقت عيناه جدلا ، وهو يردف :

— وهناك من سيقودنا إليه .. أراهنك على ذلك .



— لا يا (خالد) .. إننى لا أعنى (الكوبرا) ، بل أعنى أصحاب الصندوق الأسود الحقيقيين .

ازداد انعقاد حاجي (خالد) ، وهو يغمغم :
— ماذا تعنى ؟

تهُد (أدهم) ، وهو يقول :

— إن أصحاب طائرة النجس — أيًا كانوا — هم أول من سيبدل الجهد للحصول عليه ، ولا ريب أنهم يمتازون بمعرفة مواصفاته ، وقد يمتلكون جهازًا ما يرشدهم إليه .
ثم أشار إلى يacht صغير ، يبدو في صعوبة على ضوء القمر ، وأردف :

— وهذا اليacht يقف هناك منذ الصباح ، وعلى متنه عدد من الرجال ، يتظاهرون بممارسة الصيد ، والاسترخاء على سطحه ، ولكننى واثق أنهم لا يفعلون ذلك الآن .
وأشار إلى سطح البحر ، وهو يستطرد في سخرية :
— وقد نلتقى بهم هناك .

قال عبارته وقفز من الزورق ، ليغوص في أعماق البحر ، فهز (خالد) رأسه ، وابتسم وهو يقول :
— يا لك من رجل !!

٣ — أعماق الموت ..

انساب زورق صغير على مياه البحر الأدرياتي ، في منتصف الليل تمامًا ، وغمغم (خالد) من فوقه في قلق :
— إننا نحاطر مخاطرة كبيرة بهذا التصرف يا سيادة المقدم ، فلر أوقفنا خفر السواحل
قاطعهم (أدهم) في هدوء ، وهو يثبت منظار الغوص فوق عينيه :

— لا تقلق يا (خالد) .. إننا نعد كثيرًا عن منطقة البحث ، وسنذهب إلى هناك غوصًا .
ثم أردف ، وهو يثبت أسطوانتى الأكسوجين خلف ظهره :
— ثم إننا لن نكون وحدنا هناك .
عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يسأله :

— إنها ثاى مرة تكرر قولك هذا يا سيادة المقدم ، هل تعنى أن (سيرجى) سيغوص للبحث عن الصندوق الأسود أيضًا ؟
غمغم (أدهم) في هدوء :

وتناول مصباحًا صغيرًا ، وأحكم وضع منظار العوص على
عينيه ، وتبع (أدهم) إلى الأعماق .

كان الماء باردًا كالثلج ، وأضيفت إليه تلك الرجفة ، التي
سرت في جسد (خالد) ، وهو يحاول جاهدًا اللحاق
بـ (أدهم) في الأعماق ، في حين كان هذا الأخير يشق
أعماق البحر في سرعة ومهارة ، وكأنما وُلِدَ في أعماقه ،
مسترشدًا بضوء مصباحه الخافت ..

مضت نصف ساعة من بحث عقيم ، قبل أن يشير (أدهم)
إلى (خالد) ، يدعو للعودة ، وصعد كلاهما إلى السطح ،
وأطفأ كل منهما مصباحه ، ثم غمغم (خالد) في حَقَقِ :
— يبدو أننا لن نعثر عليه أبدًا .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وكأنما الأمر لا يعنيه وقال :
— ليس الأمر بهذه السهولة أيها الملازم ، فاليبحث عن
صندوق صغير مثل هذا ، وسط مساحة مائة شاسعة كتلك ،
كاليبحث عن إبرة في كومة من القش .

مطَّ (خالد) شفتيه ، وقال :

— سأصل إلى مرحلة الشيوخوخة قبل أن نعثر عليه .

ضحك (أدهم) ، وكأنما أعجبه التشبيه ، وقال :
— إنه لن ينتظر كل هذا الوقت أيها الملازم .

عقد (خالد) حاجبيه ، وغمغم في ضيق :

— أعتقد أن الأمر لا يحتمل المزاح بإسادة الـ

وفجأة جذبه شيء ما من قدمه ، ووجد نفسه يفوس دفعة
واحدة إلى الأعماق ، ثم غمر وجهه ضوء مصباح مائي ،
ورأى خنجرًا حادًا يتجه إلى عنقه .

كانت هذه هي أول لحظة يواجه فيها (خالد) خطرًا
حقيقيًا ، منذ انضمامه إلى الخابرات العامة ، ولكن سرعة
استجابته جاءت مناسبة للغاية ، فقد غاص بجسده إلى
الأعماق ، متفاديًا نصل الخنجر ، ودفع قبضته في الجسد
الأسود ، الذي يمسك بساقه ، ثم قبض على المعصم الذي
يمسك الخنجر ، ولواه في قوة ، فأجبره على ترك السلاح
القائل ..

ولم يكن الضفدع البشري الذي يواجهه من الهواة ..

لقد ضرب وجه (خالد) بمصباحه ، وقبض على عنقه في
قوة ، وقطع الأنبوب الذي يمدّه بالهواء ..

قاوم (خالد) في قوة ، ورأى على ضوء المصباح مشهدًا
عجيبًا ..

لقد رأى رجلين في ملابس الضفادع البشرية ، يحاولان
جذب (أدهم) إلى الأعماق ، بعد أن انتزعا منه أسطواناتي
الأكسوجين ، ولكن (أدهم) لوى ذراع أحدهما ، وجذب
الأخر من عنقه في قوّة ..

وابعد ضوء المصباح عن (أدهم) وغريمه ، حينما جذب
خصم (خالد) هذا الأخير ، محاولًا الغوص به إلى أعماق
الأعماق ، ليختنق ، بعد أن فقد مصدر الهواء .

وقاوم (خالد) في عنف ، ولكن نقص الهواء جعله يشعر
بدوأٍ شديد ، وبرئيه تكادان تفجران ، وتراخت قبضته ،
وانتابه شعور من اليأس والسخط ..

وفجأة تراخت ذراع الرجل حول عنقه ، وغمره ضوء
مصباح ثان ، ووجد نفسه حرًا ، فذفع قدميه في الماء ، وصعد
إلى السطح في سرعة ، واستشق كمية كبيرة من الهواء النقي ،
وهو لا يصدّق أنه قد نجى ..

وارتفعت بقعة ضوء إلى جواره ، فتحقّق للقتال مرّة
أخرى ، ولكنه رأى وجه (أدهم) يبرز من الماء ، وسمعه يقول
في سخرية :



ووجد نفسه بغوص دفعة واحدة إلى الأعماق ، ثم غمر وجهه
ضوء مصباح مائي ، ورأى خنجرًا حادًا يتجه إلى عنقه ..

— كم هي قاسية حياة الأسماك !!

تطلع إليه (خالد) في دهشة ، وهتف :

— ماذا حدث ؟ .. من هؤلاء الرجال ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

— لست أدري أيها الملازم .. لقد كانوا ثلاثة من

الضفادع البشرية فحسب .

سأله (خالد) في توتر :

— كانوا ؟

مط (أدهم) شففيه ، وقال في ضيق واضح :

— نعم .. لقد أرادوا قتلنا ، وقتلهم كان دفاعاً عن

النفس .

ارتفع حاجبا (خالد) ، وهو يقول :

— إذن فأنت الذي أنقذت حياتي ؟ .. يا إلهي !! لقد

تغلبت وحدك على الرجال الثلاثة ، على الرغم من فقدك

أسطواناتي الأكسوجين .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— حذار أن تفخر بالقتل يا (خالد) ، فهو شيء بغيض ،

وأنا لا أجد إلا مضطراً .

ثم أردف في صرامة :

— المهم أننا قد تأكّدنا الآن من تورط هذا السخت في

الأمر ، وأعتقد أننا سنذهب لزيارته ، وأراهنك أنه سيقودنا

إلى الصندوق الأسود في يسر .



٤ - اليخت ..

أشعل رجل ضخمة الجثة سيجارته في عصبية واضحة ، وقال في توتر ، وهو يتطلع إلى البحر المظلم ، من فوق سطح اليخت :
— لماذا لم يعد الرجال حتى هذه اللحظة ؟ .. قد حددنا موقع الصندوق الأسود في دقة ، ولم يكن أمامهم إلا الذهاب ، والعودة به إلى هنا .

أجابه آخر بالغ الطول :

— لا تقلق يا عزيزي .. إنها مهمة بسيطة ، ونحن الوحيدون الذين يمكنهم العثور على الصندوق ، فلقد أضفنا إليه ذلك الجهاز الصغير ، الذي يطلق إشارة كل ساعة .

ثم ابتسم في فخر ، وهو يقول :

— هذا هو مصدر قوتنا يا صديقي .. إننا نستعد لكل الاحتمالات .

عقد الضخم حاجبيه ، ونفت دخان سيجارته في عصبية ، وهو يقول :

— لقد سئمت هذا العمل .

رفع الطويل حاجبيه ، في دهشة ، وقال :

— ولكننا نربح منه الكثير يا صديقي ، ولا بأس في المقابل من بعض الخطر .

ألقى الضخم سيجارته في عصبية ، وصاح :

— هل تسمى هذا بعض الخطر ؟ .. هل تعلم ماذا يمكن أن يحدث ، إذا ما انتهت السلطات اليوجوسلافية إلى ما نفعله ؟ .. سنحاكم بتهمة التجسس ، وسيكون مصيرنا الإعدام .

امتقع وجه الطويل ، وغمغم وهو يتحسس عنقه :

— أنت متشام يا صديقي ، لقد حصلنا على تصريح من السلطات اليوجوسلافية بالصيد ، وسيبزر هذا أى

قاطعته صوت ساخر ، يقول في هدوء :

— هناك ما هو أخطر من السلطات اليوجوسلافية أيها الوغد .

الفتت الرجلان في ذعر ودهشة إلى مصدر الصوت ، فظالعهما (أدهم) (و خالد) في ثياب القمص ، وفي أيديهما مسدسان قويتان .

* * *

انسعت عينا الطويل في ذهول ، في حين شحب وجه الضخم في قوة ، وتراجع ووجهه يمثل الرعب بأشع صورته ، كمن رأى الشيطان نفسه ، وابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— قبل أن تبدأ تعاملنا ، أحب أن أعرف إذا ما كنا سنتهى من تفاوضنا بصورة سلمية ، أم أنني سأضطر لشق رأس أحديكما والتفاوض مع الآخر .

ظَلَّ الضخم يحدق في وجه (أدهم) برعب هائل ، في حين قال الطويل بصوت مرتجف :

— ماذا تريد منا أيها السيد ؟ إننا سياح مسالمون و.....
كان يتحدث الإنجليزية ، مما جعل (خالد) يقول في حدة ، مقاطعا إياه :

— كفى أيها الوغد ، إننا لن نضيع الوقت في مهارات لا معنى لها .. نحن نعلم أنكما هنا من أجل الصندوق الأسود ، وهناك ثلاثة من رجالكم يرقدون في عمق البحر ، بعد أن عجزوا عن العثور عليه .

ظهر غضب هائل على وجه الطويل ، وهتف :
— في عمق البحر !؟

شعر (أدهم) بالضيق ؛ لأن (خالد) كشف الأوراق بهذه السرعة ، ولكنه كتم ضيقه ، وهو يقول :
— والآن من منكما سيخبرنا عما نريد ؟

تراجع الضخم بمزيد من الرعب ، في حين قال الطويل في سخط :

— أحسنتما بكشف الأوراق على هذا النحو — أيها السيدان ، ولكنني أحب أن أخبركما أن مهمتكما فاشلة .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— هكذا!؟.. ومن يضمن لك ذلك ؟

تلاشى الغضب بغتة من وجه الضخم ، وهرقت عينا الطويل في ظفر ، وارتفع من خلف (أدهم) (و (خالد) صوت غليظ يقول :

— نحن نضمن ذلك أيها الرجل .
استدار (أدهم) (و (خالد) في حدة وتحفز للقتال ،

ولكنهما توقفا بغتة ، حينما رأيا أكثر من عشرة رجال ، يصوبون إليهما مسدساتهم ، من أماكن متفرقة على سطح اليخت ، على نحو لا يسمح لهما بالمقاومة أبدا ، فرجع (أدهم) ذراعيه في هدوء ، وهو يقول في سخرية :

— حسنًا .. لقد انتصرتم في هذه الجولة و

صاح الضخم فجأة ، محدثًا الطويل :

— أطلق النار عليهما يا (جان) .. أطلق النار عليهما

فورًا

عقد (جان) حاجبيه ، وهو يقول في جِدَّة :

— مهلاً يا (أنطوان) .. لا بُد من معرفة هويتكما أولاً .

هتف الضخم في توتر بالغ :

— لن نحتاج إلى ذلك يا (جان) .. إنهما يعملان لحساب

الخبايا المصرية .

ارتفع حاجبا (خالد) في دهشة ، وعقد (أدهم)

حاجبيه في تساؤل ، ولكنَّ دهشتها قفزت إلى ذروتها ، حينما

استطرد الضخم في جِدَّة :

— وهذا الأكبر سنًا هو أخطر رجال الخبايا المصرية

كلها ، بل أخطر رجل مخايات في العالم كله .. ألم تعرفه ؟ ..

إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) !!

* * *

كان وقع ذلك التصريح ، الذى ألقى به (أنطوان)

كالقنبلة ، فقد اتسعت عينا (جان) ، وارتعدت أطرافه ،

وهو يحدق في وجه (أدهم) ، وسرت همهمة عجيبة بين

الرجال العشرة ، وهم يصوبون أسلحتهم في ذعر إلى رجل

المستحيل ، في حين غمغم (خالد) في دهشة :

— عجبًا !! .. يبدو أنك تمتلك شهرة واسعة — بعكس

المألوف — في عالم الخبايات ياسيادة المقدم .

أشار (أدهم) إلى (جان) و (أنطوان) وقال في

سخرية :

— نعم يازميل العزيز ، وبالذات وسط رجال

(الموساد) .

عقد (جان) حاجبيه ، وغمغم في دهشة :

— (الموساد) ؟ ..

ثم ابتسم ، وهو يردف في سراسة :

— كلاً أيها الشيطان المصرى .. لقد أخطأت تعرفنا ..

صحيح أننا نعرفك جيِّدًا ، ولكننا لانتمى إلى (الموساد) .

قال (أدهم) في اهتمام :

— إلى أيَّة جهة تنتمون إذن أيها الـ ؟ ..

وفجأة بتر عبارته ، وحدق في نقطة ما خلف (جان)

و (أنطوان) ، وهتف فيما يشبه الدهول :

— يا إلهي !! ما هذا ؟

استدار الرجال كلهم في صورة غريزية ، إلى النقطة التي يحدّق فيها (أدهم) ثم تبّهوا في آن واحد إلى خدعته البسيطة ، حينما اصطدمت عيونهم بفراغ مظلم ، فعادوا بأبصارهم وأسحلتهم إلى (أدهم) و (خالد) ..

ولكن بعد فوات الأوان ..

لقد قفز (أدهم) يساراً ، وحطّم فك أحد الرجال العشرة بقبضته ، وهشّم أنف الثاني ، وغاصت قدمه في معدة الثالث ، وركلت الأخرى وجه الرابع .

وقفز (خالد) إلى اليمين ، ولكّم أحد الرجال في عنقه ، ودار على عقبه ليلكم الثاني في معدته ..

وهنا يتجلى الفارق بين الرجلين ..

فلم يكد (خالد) ينتزع قبضته اليسرى من معدة الرجل الثاني ، حتى سمع (أدهم) يقول في صرامة :

— لقد انتهى القتال أيها السادة .

التفت إليه (خالد) في دهشة ، وسرعان ما تحوّلت دهشته إلى ذهول ، حينما استبان له الموقف ..

كان الرجال العشرة فاقدى الوعي ، و (أدهم) يصوّب

مسدسه إلى (جان) و (أنطوان) ، اللذين ألقيا مسدسيهما ، وتراجعا في رعب أمامه ..

وهتف (خالد) في ذهول :

— يا إلهي !! هل هزمت ثمانية رجال بمفردك ؟

لم يحاول (أدهم) الإجابة عن سؤاله ، وإنما اقترب من (جان) و (أنطوان) وسأهما في حزم مخيف ، جمّد الدم في عروقهما :

— أين الصندوق الأسود ؟

صاح (أنطوان) في رعب :

— إنه هناك ، في أعماق البحر ، وهو يرسل إشارة منتظمة كل ساعة ، ولدينا هنا جهاز يلتقط إشاراته ، ويحدّد موضعه .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، وصوّبه إلى رأس (جان) ، وهو يسأل :

— وأين هذا الجهاز ؟

شحب وجه (جان) ، وقال في توتّر وخوف :

— اترك الصندوق يا مستر (أدهم) ، وسندفع لك مليون دولار .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال في صرامة :



جذب (أدهم) إبرة مسدسة ، وصوّبه إلى رأس (جان) ، وهو يسأل : - وأين هذا الجهاز ؟

— ما رأيك في مليون رصاصة ؟

ازداد شحوب وجه (جان) ، وعاد يغمغم في صوت مرتجف :

— صدقتي يامنسر (أدهم) .. منظمتنا سخية للغاية .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يسأله :

— منظمتكما !؟ .. إلى أية منظمة تنتميان ؟

جاءته الإجابة من مصدر آخر ..

مصدر شديد البرودة ..

كان صوت (سيرجي كوريفوف) يقول :

— ألم تعرف بعد ؟؟ .. إنهما ينتميان إلى منظمة أهدرت

كرامتها أكثر من مرة أنها الرفيق (أدهم) .. منظمة

(سكوربيون) .



٥ - الروس قادمون ..

اتسمت عينا (خالد) في دهشة ، وهو ينقلهما بين رجال اغرابات السوفيتية ، الذين امتلأ بهم اليخت بغتةً ، وتركز بصره في النهاية على (سيرجي كوروف) ، الذي بدا باردًا كالثلج ، وهو يصوب إليهما مسدسه ، في حين ابتسم (أدهم) في لامبالاة ، وقال :

— مرحبًا بك على ظهر اليخت يا عزيزي (الكوبرا) .
ازدادت عينا (سيرجي) الزرقاوان ضيقًا ، وهو يغمغم في برود :

— أرى أن كلينا يعرف الآخر جيدًا أيها الرفيق (أدهم) .
هز (أدهم) كتفيه في استهتار مثير ، وهو يقول :

— لقد قرأت عنك الكثير بالوح الثلج .
ثم أشار إلى (جان) و (أنطوان) ، اللذين بلغ منهما الذعر مبلغه ، وأردف في تهكم :

— ولكن يبدو أنك تعرف هذين الوغدتين أكثر مني .

لاح شبح ابتسامة على شفتي (سيرجي) ، وقال :

— إنني أعرف رجال (سكوريون) واحدًا واحدًا أيها الرفيق (أدهم) ، وأحفظ صورهم عن ظهر قلب ، ولقد أسأت أنت اختيار أسلوب التعامل معهم .

ثم اقترب في خطوات هادئة من (جان) و (أنطوان) ، ورفع مسدسه في وجهيهما ، وهو يستطرد في برود :

— لقد اعترفنا بوجود جهاز يمكنه قيادتنا إلى الصندوق الأسود ، ولكنك لم تحسن إقناعهما بإعطائك إياه .
شعر (خالد) برجفة تسرى في أوصاله ، وعقد (أدهم) حاجبيه ، حينما تحول صوت (سيرجي) إلى كتلة من الصرامة والحزم ، وهو يسأل رجلى (سكوريون) :

— أين الجهاز ؟

عاد (جان) يقول في هجة صارعة مرتجفة :

— اسمعني أيها الرفيق (سيرجي) .. ستدفع لك منظمتنا مليوني دولار ، لو أنك ..

قاطعته (سيرجي) في صرامة :

— يبدو أنكما تحتاجان إلى أسلوب خاص في التعامل
أيكما يعلم مكان الجهاز ؟

هتف (أنطوان) في ذعر :

— (جان) هو المسئول عن ذلك ، أنا لا أعلم شيئاً .

ابسم (سرجي) في برود ، وقال :

— لا فائدة لك إذن .

وفي هدوء شديد ، وبرود كالثلج ، أطلق رصاصة من مسدسه المزود بكاتم للصوت ، وجمحت عينا (أنطوان) ،

وتدفق الدم من ثقب مستدير في جمجمته ، وترنح لحظة ، ثم ارتطم بحاجز اليخت ، وسقط في البحر جثة هامدة .

أشاح (خالد) بوجهه في استنزاز ، في حين قال (أدهم) في جِدَّة :

— إنه أسلوب خميس أيها الكوبرا .

أجاب (سرجي) في برود :

— هذا هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع هؤلاء الأوغاد ،

أيها الرفيق (أدهم) .

هتف (أدهم) في غضب :

— ولكنك تطلق النار على رجال عزّل .

هز (سرجي) كتفيه في لامبالاة ، وأدار فؤوه مسدسه

إلى (جان) ، الذي صاح في رعب :

— لا أيها الرفيق .. أرجوك .

عاد (سرجي) يسأله في صرامة :

— أين الجهاز ؟

لوح (جان) بكفه ، وهتف في صوت كالبكاء :

— إنك لن تقتلني .. أليس كذلك ؟ .. أنا الوحيد الذي

يعلم أين الجهاز ، ولن يمكنك أن .. .

جاء جواب (سرجي) على هيئة رصاصة أخرى صامتة ،

حطمت ركبة (جان) ، الذي سقط أرضاً ، وهو يصرخ

وينوح ، في حين عاد (سرجي) يقول في صرامة :

— هناك أكثر من وسيلة لإجبار كلب مثلك على التوج

بمالديه .

صرخ (جان) في رعب وألم :

— لا .. لا .. هاهو ذا .

وانتزع ساعة يده في ذعر ، وناولها لـ (سرجي) ، وهو

يقول في توسل :

— هذا هو الجهاز .. سيعطى إشارة بعد عشر دقائق ..

الرحمة !! أرجوك .

شعر (أدهم) بعضلاته تتحفظ ، وهو يرى الجهاز في يد

(سرجي) ، الذي تأمل في هدوء ، وغمغم :

— إذن فهذا هو الجهاز الخطير .

ثم رفع مسدسه إلى رأس (جان) ، وأردف في هدوء شديد :

— انتهت مهمتك أيها الوغد .

صرخ (جان) في رعب :

— لا .. لا ..

ولكن رصاصة (سيرجى) أخذت صرخته ، وفجرت كل الغضب والاشمزاز في أعماق (خالد) ، فقفز نحو (سيرجى) ، وهو يصرخ :

— إنك لن تحصل عليه أبدا .

مال (سيرجى) في مهارة ، متفادياً لكمة (خالد) ، ثم اعتدل في سرعة ، وأطلق رصاص مسدسه على هذا الأخير ..

حاول (أدهم) أن يقفز لحماية زميله ، ولكنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، جعلته يترشح ، ويسقط أرضاً ، في حين اتسعت عينا (خالد) ، وشعر بألم رهيب ، في صدره ، وحاول أن يتشبث بحاجز اليخت ، ولكن يده أفلتت ، وسقط إلى أعماق البحر البارد ..

نهض (أدهم) في ببطء ، وتألفت عيناه بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يقول :

— ستدفع ثمن ذلك أيها الكوبرا .

اتسم (سيرجى) في استتار ، وقال :

— لا داعى للمكابرة أيها الرفيق (أدهم) ، لقد خسرت

معركتك هذه المرة ، ولا مفر أمامك من الاعتراف بتفوق

(سيرجى كوربوف) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— أنت وغد أيها الكوبرا .

ظهر الغضب لحظة على وجه (سيرجى) ، ورفع فوهة

مسدسه نحو (أدهم) ، ولكن الجهاز الصغير في راحته أطلق

أزيزاً متصللاً ، انتزعه من غضبه ، فهتف في ظفر :

— ها هو ذا الجهاز الصغير يفصح عن أسراره .. لن تمضى

دقائق ويكون الصندوق الأسود في حوزتنا .. لقد انتصرت

اخبارات السوفيتية هذه المرة أيها الشيطان المصرى .



٦ - حياتي لمصر ..

إذا كان عالم الخبايا كالغابة ، وكان (سيرجى كوربوف) يمتلك شراسة الكوبرا وخطورتها ، ف (أدهم صبرى) يمتلك شجاعة الأسد ، وذكاء الثعلب ، وعناد الفهد ..

لقد كان (سيرجى) يمسك في راحته بالجهاز الصغير ، الذى يرشد حائزه إلى مكان الصندوق الأسود ، الذى يحمل من المعلومات ما يضر بأمن مصر ..

وكان هناك خمسة عشر رجلاً من الخبايا السوفيتية ، يصوبون مسدساتهم إلى (أدهم) وأصابعهم لن تردد فى إطلاق النار عليه .

وكان النصر مستحيلاً ..

ولكن (أدهم) ليس بالرجل الذى يستسلم للهزيمة ، مهما كانت العقبات والمعوقات ..

وكانت هناك عبارة تدوى فى أذنيه ..

عبارة تبادلها مع مدير الخبايا المصرية ، قبل أن ينطلق فى

مهمته ..

لن يتعرض أمن مصر للخطر ، مهما كان الثمن ..
وفى أعماق (أدهم) ، تردّد هتاف حاسم حازم ..
لن تضار مصر ..

حياتي لمصر ..

وتحرك (أدهم صبرى) ..

تجاهل المسدسات المصوّبة إلى رأسه ..

تجاهل الخطر الذى يحيط به ..

تجاهل سلامته وحياته ..

وفى سرعة مذهلة ، وبراعة منقطعة النظر ، دفع (أدهم)

مرفقه ، ليغوص فى معدة الرجل الذى يقف خلفه ، ودار على

عقبه ليركل مسدسه ، ويلكم رجلاً آخر ، ثم قفز عاليًا متفادياً

عشر رصاصات صامتة ، انطلقت فى آن واحد ، وعاد يهبط

على قدميه ، وأطلق رصاصة واحدة ، من المسدس الذى

التقطه فى الهواء ..

رصاصات أصابت الجهاز الصغير فى يد (سيرجى

كوربوف) ، وحطمتها تمامًا ..

لم تكن المعركة لتنتهى عند هذه النقطة ..

وكان (أدهم) يعلم ذلك ..

وانطلقت عدة رصاصات نحوه ، وأطلق هو أربع رصاصات من مسدسه ، وأسقطت رصاصاته أربعة رجال ، وأصابته رصاصة في كتفه ، وأخرى في فخذه ، وطاشت الرصاصات الأخرى ، ثم أطارت رصاصة (سرجى) مسدس (أدهم) ، واندفع صوته يصرخ بالروسية :
— أريده حياً .. أريده أن يدوق انتقام الكوبرا .

واندفع الأحد عشر رجلاً الباقين نحو (أدهم) ، ولكنهم هو أحدهم ، وحطّم فكّ الثاى ، ثم أطبق عليه الباقون ، وشعر بضربتين قويتين على رأسه ، ومؤخرة عنقه ، وحاول أن يقاوم اللدّوار الشديد ، ويواصل قتاله في بسالة ، ولكن جسده المنك أنى أن يواصل وانهار تحت وطأة الضربات ، التى انهالت عليه في شراسة ووحشية ..

وسقط (أدهم) فاقد الوعي ، بين أعدائه ، وتطلّع إليه (سرجى كوروبوف) في صرامة وغضب ، وسمع أحد رجاله يقول :

— ماذا نفعل به أيها الرفيق القائد ؟

رفع (سرجى) عينيه الباردين إلى رجاله ، وقال في برود حازم :

— سنصحبه معنا إلى مقرنا في (بلغراد) ..

ثم أردف في صوت يبنى عن غضبه :

— سأجعله يدفع ثمن تحطيم الجهاز .

ارتجف الرجل على الرغم منه ، وغمغم :

— واليخت ؟!

مطّ (سرجى) شفتيه ، وقال في صرامة :

— سننصفه .. سننصف كل شيء وقف في طريقنا .

* * *

استعاد (أدهم) وعيه في بلاء ، وشعر بالآلام مبرّحة في كتفه وفخذه المصابتين ، وحاول أن يرفع يده ، ليمسح بعض العرق المتصبّب على جبينه ، ولكن يده بدت ثقيلة ، ولم يلبث أن تبين أنها مقيدة في قوّة وإحكام إلى جواره ..

وقبل أن يفتح عينيه ، بدأ يدرك وضعه ..

كان يرقد على فراش صغير ، قيّدت إليه قدماه ، ويدها ، وضمد بعضهم جراح كتفه وفخذه ، وكان هناك شخص ما يقف أمامه ، ويحرّك قدميه في عصية واضحة ..

وفتح (أدهم) عينيه ، وطالعه وجه (سرجى) البارد ، وهو يتطلّع إليه بعينه الزرقاوين الجامدتين ، فابتسم (أدهم) ابتسامة ، أودعها كل ما ساعده عليه ضعفه من سخرية ، وغمغم في تهكّم :

— يا إلهي !!.. أين أنا ؟.. أهو عرين الكوبرا ؟
 مطّ (سرجي) شفّيه في برود ، وأجاب في هدوء :
 — نعم أيها الشيطان المصري .. إنه عرين الكوبرا ،
 لا يمكنك التوقف عن السخرية أبداً ؟
 ازدادت ابتسامة (أدهم) تهكّماً ، وهو يقول :
 — صدقتي يالوح الثلج ، إنني أقاوم رغبتى الشديدة في
 الضحك .

ابسم (سرجي) ، وكان دعابة (أدهم) قد أعجبه ،
 ثم لَوَّح بكفه ، وهو يقول في هدوء :
 — يبدو أنك لا تدرك حقيقة موقفك جيّداً أيها الشيطان
 المصري .. إنك هنا تحت رحمة الكوبرا ، وأنا لن أتردّد في
 تمزيقك إرثاً ، إذا ما أردت ذلك .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :
 — يا إلهي !!.. إنني أرتجف خوفاً .
 مطّ (سرجي) شفّيه مرة أخرى ، ثم جذب معقداً ،
 وجلس إلى جوار فراش (أدهم) ومال بوجهه نحوه ، وهو
 يقول :
 — اسمع أيها الشيطان المصري .. لقد تصرّفت بحماقة ،



كان يرفد على فراش صغير ، قيّدت إليه قدماه ، وبداه ، وحشد بعضه
 جراح كتفه ولفخذه ، وكان هناك شخص ما يقف أمامه ..

وحطمت الجهاز الوحيد ، الذى كان يمكنه أن يقودنا إلى الصندوق الأسود ، وبذلك خسرت دولانا فرصة إنقاذ أسرارها ، وأصبحت تلك تحت رحمة من يعثر — ولو بالصدفة — على الصندوق ، وجعلتى أفضل لأول مرة فى حياتى ، ولن أغفر لك هذا .

غمغم (أدهم) فى تمهّم :

— هل ستقطع رقبتى ؟

هزّ (سيرجى) رأسه نفياً فى هدوء ، وقال :

— لو أننى أريد قتلك ما انتظرت حتى الآن أيها الشيطان المصرى .. إن قتلك لن يشفى غليل .

ثم عاد يميل بوجهه نحو (أدهم) ، وهو يستطرد فى غضب :

— إننى أهدف إلى تحطيمك تماماً ، والقضاء على سجلك المشرف ، وبحو مستقبلك فى عالم الخبايا .

والنقط من جواره محقناً ، يمتلئ بسائل أصفر اللون ، واختبره بالضغط عليه فى هدوء ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— هل ستحقننى بمصل الحقيقة ؟

مطأ (سيرجى) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وقال وهو يكشف ذراع (أدهم) :

— (بتوثال الصوديوم)؟! .. كلاً أيها الشيطان المصرى .. إنها وسيلة قديمة ، لم تعد تجدى فى أيامنا هذه ، فكل رجال الخبايا تقريباً يتناولون جرعة مضادة له ، طويلة المفعول قبل أن يخرج الواحد منهم فى مهمة تنطوى على بعض الخطورة . ثم هزّ كفتيه ، وأردف فى سخرية :

— وبم سيفيدنى ما لديك من أسرار ؟ ألم أقل لك إننى أنوى تحطيمك تماماً .

أثارت كلمات (سيرجى) قلق (أدهم) ، فكف عن سخريته وأصغى إليه فى اهتمام ، فى حين أشار (سيرجى) إلى السائل الأصفر ، وهو يستطرد فى صرامة :

— هذا السائل أخطر من مصل الحقيقة أيها الشيطان المصرى ، بل أخطر من كل السموم المعروفة فى هذا العالم ، فهو لا يقتل ولكنه يدمر تدميراً ..

واقترب بعينه الباردتين من عنى (أدهم) ، وهو يتابع فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— إنه (الكوكابين) أيها الشيطان المصرى ، أبشع مخدر معروف فى العالم .

ارتجف جسده (أدهم) على الرغم منه ، وهو يقول في غضب :
— أنت وغد حقير .

أطلق (سيرجى) ضحكة بالغة القصر ، وقال :

— ستحوّل إلى مدمن بعد حققتين من (الكوكايين) أيها
البطل ، وستركع على ركبتك طلبًا للثالثة ، ولن تصلح بعد
الرابعة للعمل في المخابرات المصرية ، ولا حتى لبيع أوراق
اليانصيب على المقاهى .

قال (أدهم) في غضب :

— من الواضح أنك تعلم الكثير عن مصر والمصريين أيها
الوغد .

ابتسم (سيرجى) في هدوء ، وقال :

— بالطبع يا رجل المخابرات المصرى ، إننى أعلم أكثر
مما سيتبقى في ذاكرتك ، بعد أن تنحوّل إلى مدمن بانس .

ثم أردف في سخرية مريرة :

— الوداع لحياة المخابرات ، أيها الشيطان المصرى .

وغرر إبرة الحقن في ذراع (أدهم) ، ودفع بالسم إلى
عروقه .

الفصل الثانى نهاية بطل

١ - وضاع الأثر ..

دفع مدير الاخبارات المصرية التقارير التى امامه ، ورفع عينيه الى (قدرى) ، يسأله فى اهتمام شديد :
- اما من اخبار جديدة يا (قدرى) ؟
هز (قدرى) رأسه تقيًا فى حزن واضح ، ولوح بكفيه ، وهو يقول :
- لا ، للأسف ياسيدى .. لقد فقدنا أثر (أدهم)
(و خالد) تمامًا ، منذ عشرة أيام ، وعجزنا عن العثور عليهما تمامًا .

زفر مدير الاخبارات فى حزن وانفعال ، وغمغم :
- وماذا عن (سيرجى كوزيوف) ؟
تهجد (قدرى) ، وقال :

- إنه لم يغادر (يوجوسلافيا) بعد ، ولكن السلطات اليوجوسلافية أعلنت وقف عمليات البحث عن الصندوق الأسود ، دون أن تشير إلى عثورها عليه أو عدمه .

نهض مدير الاخبارات من خلف مكتبه فى توتر ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- هل تظن أنهما قد .. قد قتلا ؟

هز (قدرى) رأسه فى حزن ، وقال :

- أدعو الله (سبحانه وتعالى) ألا يكون قد أصابهما مكروه ياسيدى ، ولكن الصحف اليوجوسلافية تشير إلى انفجار يمتد مجهول ، أمام سواحل (سبت) ، وقد ...
أعجزه الحزن عن إتمام عبارته ، ولكن مدير الاخبارات فهم مايعنيه ، فأطرق برأسه ، وغمغم فى حزن :
- فليجعل الله ما فيه الخير .. وليرحمنا جميعًا .

فتح الملازم (خالد) عينيه فى تناقل ، ولكنهما لم يلبثا أن اتسعا عن آخرهما ، وهو يحدق فى وجه الرجل الواقف أمامه ، وفى جدران الحجرة التى يرقد داخلها ، وهتف فى دهشة :
- أين أنا ؟

أجابه الرجل ذو الشارب الكث ، الذى يقف أمامه فى هدوء :
- تحدث اليوجوسلافية أنها الشاب ، أو الإنجليزية على الأقل ، فلا أحد هنا يتحدث لغتك العربية .

مرت لحظة من الدهشة ، قبل أن يكرّر (خالد)
بالإنجليزية :

— حسناً .. أين أنا ؟

مطّ الرجل شفته السفلى ، وأجاب في هدوء :

— أنت هنا في مستشفى الشرطة في (بلغراد) ، ولقد
عثرنا عليك مصاباً برصاصة في صدرك ، ومرتدياً ثياب
الفوس ، على شاطئ (سبلت) ، حينما كنا نحقق في حادث
الفتجار تحت مملوك لبعض السياح ، ولقد عثرنا أيضاً على جثث
ثلاثة قتل في ثياب الفوس ، وأعتقد أنك تدين لنا بتفسير .

أشاح (خالد) بوجهه ، وغمغم :

— لست أملك أية تفسيرات .

احتقن وجه الرجل ، وغمغم في صرامة :

— اسمع يا فتى .. إننا لا نهزل أو نعبث هنا ، لقد اقترن
عثرنا عليك في هذه الحالة بعلمييات بحثنا عن حطام طائرة
مجهولة ، انفجرت أمام سواحلنا ، ولو لم تقدم لنا تبريراً معقولاً
عن وضعك ، فستوجه إليك تهمة التجسس ، وسيكون
مصيرك الإعدام .

قال (خالد) في صرامة :

— افعل ما بدا لك .. إنني لا أملك أية تفسيرات .

عقد الرجل حاجبيه في شدة ، وصاح بملء فيه :

— أيها الحارس .

جاء الحارس إثر النداء ، فقال الرجل ، وهو ينظر إلى

(خالد) في صرامة :

— ضع مزيداً من الحراسة على حجرة هذا الشاب ، ومر
الجميع بإطلاق النار مباشرة ، إذا ما بدرت منه أية محاولة للهروب .

ولدهشة (خالد) ، أجاب الحارس في سخرية :

— أليس ذلك مبالغة في الحذر والقسوة أيها المفتش

(جوزيف) ؟

استدار إليه المفتش (جوزيف) ، في مزيج من الدهشة

والغضب ، وصاح :

— انتبه لكلماتك أيها الجندي الوقح وإلّا

بتر عبارته بغتة ، حينما رفع الحارس مسدسه في وجهه ،

وقال في سخرية :

— وإلّا ماذا أيها المفتش ؟

كاد (خالد) يبتف من فرط الدهشة ، وتراجع المفتش

(جوزيف) في جدّة ، وغمغم :

— يا إلهي !! .. إنك لست الحارس الذى

وفى حركة مباغتة مريعة ، هوى الحارس المزيف بمسدسه على رأس المفتش ، فأعرج كلماته ، وأفقدته الوعي ، ثم تحرك فى سرعة ، وصوب مسدسه إلى (خالد) ، الذى هتف :

— ماذا يحدث هنا ؟

قال الحارس فى صرامة :

— ستعلم كل شيء حينما تصحبنى أيها الشاب .

عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يسأله فى جدوة :

— إلى أين ؟

ابتسم الحارس الزائف فى سخرية ، وقال :

— إلى حيث ينتظرك زميلك (أدهم صبرى) أيها

الشاب .. إلى مركز قيادة الرفيق (سرجى كوروبوف) .

بدت عينا (سرجى) باردتين ، لولا البريق الذى اتسع

فيهما ، وهو يتطلع إلى (خالد) ، الذى وقف رافعاً ذراعيه ،

واضح الغضب أمامه ، وقال للحارس المزيف فى هدوء :

— هل قابلتك أية متاعب يا (ألكسندروف) ؟

أجاب (ألكسندروف) فى بساطة :

— لقد كان التخلص من الحارس الأصيل متعباً بعض

الشيء أيها الرفيق ، ولكننى أفقدت المفتش (جوزيف) وعيه بضربة واحدة ، وضابط الخابرات المصرى هذا لم يقاوم قط .

ابتسم (سرجى) ابتسامة خافتة ، وقال :

— عجيباً !! .. عهدى برجال الخابرات المصرية أنهم

شديدو العناد .

عقد (خالد) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول فى صرامة :

— أين (أدهم صبرى) ؟

تطلع إليه (سرجى) لحظة فى صمت وبرود ، ثم غمغم :

— إذن فهذا ما جعلك تأتى دون مقاومة ؟

عاد (خالد) يكرر سؤاله فى صرامة :

— أين (أدهم) ؟

أشار (سرجى) فى برود إلى حجرة جانبية ، وقال :

— هناك .

اندفع (خالد) إلى الحجرة التى أشار إليها (سرجى) ،

غير مبال بمسدس (ألكسندروف) المصوب إلى رأسه ،

ولكنه لم يكذب بفتح بابها حتى شعر بصاعقة تنزل كيانه ،

وجحظت عيناه حتى كادت أن تقفز من محجريهما ، وسقط قلبه

بين ضلوعه ..



فهنالك .. على أرض الحجر ، جلس (أدهم صبرى) ، مستلدا إلى الحائط بظهره .. لم يكن (أدهم صبرى) الذى عرفه منذ عشرة أيام مضت ..

فهنالك .. على أرض الحجر ، جلس (أدهم صبرى) ، مستلدا إلى الحائط بظهره ..

لم يكن (أدهم صبرى) الذى عرفه منذ عشرة أيام مضت ..

كان صورة ممسوخة مشوّهة منه ..

وجهه شاحب مصفرّ نحيل ، وعيناه غائرتان ذابلتان ، ولحيته نامية ، وشعره أشعث مغيرّ ، وقميصه منسج ، وسرواله مجعد ..

كان بقايا رجل ..

بل بقايا إنسان ..

وقفز (خالد) نحوه فى ألم ولوعة ، وأمسك كتفيه ، وهو

يهتف فى جزع :

— ماذا أصابك أيها المقدم ؟ .. ماذا أصابك ؟

أدار إليه (أدهم) عينين زالغتين ، وابتم فى شحوب ،

وهو يغمغم فى صوت واهن :

— إذن فأنت حتى .. هذا عظيم .. عظيم ..

ثم أغلق عينيه فى هدوء ، وأخذ يهيمهم بكلمات غير

مفهومة ..

استدار (خالد) إلى (سرجى) ، الذى يقف هادئاً على
باب الحجره ، وصاح فى سخط و ألم :

— ماذا فعلت به ؟

هز (سرجى) كتفيه فى لامباله ، وقال فى هدوء :

— إنه (الكوكابين) .. لقد أصبح زميلك مدمناً .

السمعت عينا (خالد) فى دُعر ، وهتف فى غضب :

— أيها الوغد الحقيير .. لو أنك تصوّر أننى سأتركك

تفعل به هذا فأنت

قاطعه (سرجى) فى برود :

— إنه لك .. اجمله واذهب به خارجاً .

حدق (خالد) فى وجهه بدهشة ، وغمغم فى خيرة :

— ماذا ؟

عاد (سرجى) يمز كتفيه ، قائلاً :

— وهل تظن أننى أنوى الاحتفاظ به ؟ .. لقد انتظرنا

عودتك إلى وعيك بفارغ الصبر ، بعد أن أبلغنا صديق لنا ، فى

إدارة الشرطة ، عن غثورهم عليك حيناً ، ومادمت قد

حضرت ، فلنصحب معك هذا المدمن ، فهو يكلفنا مبالغ

باهظة لتوفّر له ذلك الخنجر .

عاد (خالد) يغمغم فى ألم :

— أيها الحقيير .

ابتسم (سرجى) ابتسامه واهية ، وأشعل سيجاراً

ذرائحة نفاذة ، ونفث دخانه فى الهواء ببطء ، قبل أن يقول :

— أنتما مطلقا السراح .. لقد تحطّم زميلك تماماً ، ولست

أبغى شيئاً منك .

ثم أخرج من جيبه علبه صغيرة ، ألقى بها إلى (خالد) ،

وهو يستطرد فى برود :

— وهذه هدية الوداع .. كمية من (الكوكابين)

النقى ، تكفى زميلك المدمن ثلاثة أيام كاملة ، وبعدها تتكفل

مخبراتكم باحتياجاته .

وابتسم فى ظفر ، وهو يردف :

— مع تحياتى للمخابرات المصرية .

٢ - محاولة إنقاذ ..

اندفع الملحق الطبي بسفارة (مصر) في
(يوجوسلافيا) ، إلى المنزل الذي استأجرته اخبارات العامة
في (بلغراد) ، وسأل (خالد) في اهتمام وقلق واضحين :
- أين هو ؟ .. لقد اتصل بنا السيد رئيس الجمهورية
بنفسه من أجله .

أشار (خالد) بيده في حزن ، فأسرع الطبيب المصري إلى
الحجرة التي أشار إليها ، وتوقف لحظة ، ليتأمل جسد
(أدهم) الناحل في إشفاق ، ثم جلس إلى جواره على طرف
الفرش ، وسأله في عطف :

- كيف حالك أيها المقدم ؟

حاول (أدهم) أن يتسم ، وهو يقول :

- في أسوأ حال ياسيدى الطبيب .

ابتسم الطبيب في إشفاق ، وهو يغمغم :

- إنها ليست نهاية العالم أيها المقدم .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

- يا إلهي !! .. كنت أظنه قد انتهى منذ دفع ذلك الوغد
بالسم في عروقي .

ثم أردف في غضب .

- لقد حاولت مقاومة إدمان تلك السموم ياسيدى ..

صدقنى .. ولكن الآلام كانت رهيبة .. حتى أنني لم أستطع
احتياها .

وضحك في مرارة ، قبل أن يردف :

- لقد احتملت آلاماً مبرحة من قبل ، ولكن هذه الآلام

تختلف .. إننى أشعر بالألم في كل خلية من خلاياى .. وفي

عظامى وأحشائى .. إن جسدى يصرخ طالباً ذلك السم .

أوماً الطبيب برأسه ، وكأنه يوافق ، ثم قال في هدوء :

- سنقاوم ذلك الشعور أيها المقدم .. سنحققك بجرعات

متناقصة تدريجياً من (الكوكايين) ، ونعوض الفارق بمادة

مضادة و ..

قاطعهم (أدهم) في هدوء :

- افعل ما يبدوا لك أيها الطبيب ، وسأعاونك بقدر

إمكانى .

— هل تذكر الضفادع البشرية الثلاثة الذين قضينا عليهم ؟ .. لقد أشار ذلك الوغد (جان) إلى أنهم كانوا يحملون جهازاً مشابهاً لذلك الذى حطمته ، وهذا يعنى أننا لو نجحنا فى العثور على ذلك الجهاز فـ ..

قاطعته (خالد) ، وهو يهتف فى حماس :

— فىمكننا العثور على الصندوق الأسود ..

يا إلهى !! هذا صحيح .

قال (أدهم) :

— نعم أيها الملازم .. لو أننا

وفجأة بتر عبارته ، وامتلات ملامحه بالألم ، وهتف فى سخط :

— هذا الشم اللعين ..

أشاح (خالد) بوجهه فى ألم ، ليتفادى رؤية (أدهم) وهو

يرتجف ، ويتألم ، ويشحب ، ويطلب جرعة جديدة من ذلك المخدر اللعين .

وبينما أسرع الملحق الطبى بإجهز الجرعة ، غمغم (خالد)

فى سخط وألم :

— لقد نجح ذلك الوغد (سرجى) .. لقد حطّم رجل

المستحيل .

* * *

اتسم الطيب وهو يقول :

— إرادتك القوية ستكون خير عون أيها المقدم .

أوماً (أدهم) فى وهن ، والتفت إلى (خالد) ، وسأله

فى اهتمام :

— هل عاد ذلك الوغد (سرجى) إلى دولته ؟

هزّ (خالد) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا يسيادة المقدم .. مازال هنا فى (بلغراد) .

ضافت عينا (أدهم) وهو يقول فى غضب :

— هذا الوغد يريد مشاهدة نهاية المسرحية ، التى وضع

هو فصولها .

غمغم (خالد) فى ضيق :

— ربّما كان يبحث عن وسيلة أخرى للعثور على

الصندوق الأسود .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وقال :

— هناك وسيلة أخرى بالطبع .

هتف (خالد) فى دهشة :

— كيف ؟

أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يقول :

نفث (سرجى) دُخان سيجارة في هدوء ، وتألفت عيناه
وهو يغمغم :

— إذن فقد أرسلوا الملحق الطيب .

أوماً (ألكسندروف) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. ولا ريب أنهم يحاولون إنقاذه من الإدمان .

هزُّ (سرجى) رأسه نفيًا ، وقال :

— لن ينجحوا أبدًا .. لقد كنت أعطيه مزيخًا خاصًا من

المورفين والكوكايين ، ولن يمكنهم معالجته ، ما لم أصف لهم

الجرعة تمامًا .

ضحك (ألكسندروف) ، وهو يقول :

— إنك تحطمه تمامًا أيها الرفيق .

مطُّ (سرجى) شفتيه ، وقال في برود :

— هذا جزء كل من يتحدى الكوبرا أيها الرفيق .

ثم اعتدل ، وسأله :

— هل هناك زوّار آخرون لذلك البطل المصرى ؟

هزُّ (ألكسندروف) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا أحد يذكر .. باستثناء الملحق الطيب ، ليس هناك

سوى فتاة مصرية و



أشاح (خالد) بوجهه في ألم ، لينفادى رؤية (أدهم) وهو يرتجف ،
ويتألم ، ويطلب جرعة جديدة من ذلك الخنجر اللعين ..

٣ - اختطاف ..

— (أدهم) ..
كلمة واحدة نطقت بها (منى) ..
كلمة حملت كل المشاعر ، التي تموج في أعماقها ..
حملت لفتها ، وألمها ، وتوترها ، وحيوتها ، وحزنها ،
ولوعتها ، وجزعها ، وحنانها ..
كلمة حملت أعماقها كلها إلى أذني (أدهم) ،
ومشاعره ، وقلبه ..
وأدار (أدهم) إليها عينيه في بظء وحزن ، واحتواها
بناظره ، قبل أن يغمغم في حقوت :
— (منى) .. كيف حالك يا عزيزتي ؟
أسرعت (منى) إليه ، وأمسكت كفه في حنان ، وهي
تهمس :
— كيف حالك أنت يا (أدهم) ؟ .. ماذا أصابك ؟
فشل في أن يتسم ، وهو يلفض عينيه ، قائلاً :

اعتدل (سرجي) دفعة واحدة ، وسأله في اهتمام
مفاجئ :

— أهي سوداء الشعر ، رقيقة الملامح ، صغيرة الجسم ؟
تطلع إليه (ألكسندروف) في دهشة ، وغمغم :
— هذا صحيح .. كيف تعرف كل ذلك أيها الرفيق ؟
تألفت عينا (سرجي) بهريق شرس ، وهو يقول :
— إنها رفيقته (منى توفيق) أيها الرفيق .. إنها المخلوق
الوحيد في هذا الكون ، الذي يمكنه دفع (أدهم صبرى)
لتحطيم حاجز المستحيل .
ثم أردف في وحشية :
— أريد هذه الفتاة يا (ألكسندروف) .. أريدها بأى
شئ .



— لم أكن أتمنى رؤيتك أبداً ، وأنا أخوض هذه المعركة الخاسرة يا (منى) .

هتفت في حماس :

— إنك لن تخسر أية معركة أبداً .. إنك اليوم تقاثل أخطر رجل في العالم كله .. تقاثل نفسك يا (أدهم) ، وأنا واثقة أنك ستنتصر على هذا الخنّذر اللعين .

غمغم الملحق الطيب في الفعال :

— لن يمضي شهر واحد ، إلا ويكون قد تجاوز أزمته يا آنستي ، فهو يمتلك قوة إرادة مذهلة .
سألته (منى) في لطفة :

— ألا يمكن إنهاء الأمر في أقل من ذلك ؟

تردّد الطيب ، لحظة ، ثم قال :

— هناك وسيلة ، ولكنها محفوفة بمخاطر رهيبه ، ألا وهي الامتناع عن الخنّذر دفعة واحدة .

جذبت الإجابة انتباه (أدهم) ، فسأله في اهتمام :

— وما الذي تنطوي عليه هذه الوسيلة من خطورة ؟

ازداد تردّد الطيب ، قبل أن يجيب في صوت خافت :

— سيكون على جسدي أن يقاثل نفسه ، ويحاول ترويض

خلاياه على التخلي عن نسبة الخنّذر في الدم ، ولن يكون ذلك بالأمر البسيط .

هتفت (منى) :

— وما مدى الخطورة ؟

ألقى إليها الطيب نظرة مشفقة طويلة ، ثم غمغم :

— قد تؤدي إلى مصرعه .

هتفت (منى) في جزع :

— يا إلهي !!

لم يكذب صدق هتافها بتلاشي ، حتى ارتفع صوت ساحر يقول بالإنجليزية :

— اطمئنوا أيها السادة .. لن يشفي ضابط الخبابرات المصري أبداً .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت في دهشة ، فظالمهم (ألكسندروف) بقامته الطويلة ، ووجهه النحيل الساحر ، وهو يصوب إليهم مسدسه ، وخلفه ثلاثة رجال ، يصوبون مسدساتهم إلى (خالد) ..

مضت لحظة من الدهشة والتوتر ، قبل أن يقول (أدهم)
في غضب :

— ماذا تريد أيها الوغد ؟

ابسم (ألكسندروف) ، وقال في سخرية :

— لقد أتيت لأطمئن عليك أيها الشيطان المصرى .

غمغم (خالد) في حنق :

— لقد كشفوا وجود نقص في حقارتهم ، فأرادوا تعويضه .

أدار (ألكسندروف) قُوَّة مسدسه إلى رأس (منى) ،

وقال في هدوء :

— منصحب الفتاة معنا .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— حذار أن تمس شعرة واحدة منها أيها الوغد .. وإلا ..

أطلق (ألكسندروف) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— وإلا ماذا أيها البطل السابق ؟ .. هل ستحظم فكى ؟

قفز (أدهم) فجأة من فراشه ، وركل مسدس

(ألكسندروف) ، ثم رفع قبضته ليؤكد هذا الأخير ، ولكن

مبادرته كانت أبطأ من المؤلف ، بفضل الخلد ، الذى يملأ

عروقه ..

وتفادى (ألكسندروف) اللكمة في بساطة ، ثم لكم

(أدهم) لكمة قوية ، ألقت به على الفراش ، وعاد يلتقط

مسدسه في بساطة ، وهو يقول :

— يبدو أنك لم تدرك بعد حقيقة وضعك أيها البطل

السابق .. لقد انتهى عهد بطولتك ..

لقد أصبحت مدمنًا ، ولا يوجد بطل واحد في التاريخ كله

يدمن المخدرات .

صاحت (منى) في غضب :

— ستدفعون ثمن ذلك .

وبسرعة ، دار (خالد) على عقيه ، ولكم أحد الرجال

الثلاثة ، الذى يقفون خلفه ، ثم الجنى متفادياً لكمة التالى ،

ولكن مسدس الثالث هوى على عنقه ، وأسقطه فاقد الوعي ..

وهنا ابسم (ألكسندروف) في سخرية ، وقال :

— عنيدون هم هؤلاء المصريون .

ثم جذب (منى) من ذراعها في قسوة ، وهو يردف في

خشونة :

— هيا يا فتاتى .. الرفيق (سرجى) يريد رؤيتك .

حاولت (منى) أن تقاومه ، وقفز (أدهم) نحوه مرة

أخرى ، ولكن (ألكسندروف) عاد بلكمه في قوة ، ثم دفع
(منى) إلى رجاله الثلاثة ، والتفت إلى (أدهم) قائلاً في
سخرية :

— لا تخش شيئاً أيها البطل السابق .. سندفع ثمن زميلتك .
ثم ألقى إلى (أدهم) بعلبة من الخلد ، وأطلق ضحكة
ساخرة عالية ، وهو يردف :

— الوداع أيها البطل السابق .
ظل (أدهم) راقداً حيث أسقطته لكمة (ألكسندروف) ،
حتى غادر هذا الأخير المكان مع رفاقه ، وهنا هتف الملحق
الطبي في جزع :

— يا إلهي !! لقد اختطفوها أمام عيوننا .
نهض (أدهم) في بظءه وألم ، ومسح خيط الدم السائل من
طرف شفثيه ، وغمغم في مزيج من السخط والألم :
— ألم أقل لك إنها النهاية يا سيدي الطبيب ؟ .. لقد
عجزت عن إنقاذ الفتاة التي أحب ..
وهذه هي النهاية .. إنني لم أعد أصلح يا سيدي .. لقد
انتهى رجل المستحيل .

ابسم (ألكسندروف) في سخرية ، وقال :
— لقد انتصرنا تماماً أيها الرفيق (سيرجي) ، ويمكننا الآن
أن نعود إلى (موسكو) .

أجاب (سيرجي) في برود :
— ليس بعد .

عقد (ألكسندروف) حاجبيه ، وهو يقول :
— ولكننا فعلنا كل ما أردت أيها الرفيق ، على الرغم من
اعتراض رؤسائنا في (موسكو) ..

أنت تعلم أنهم لا يقرون هذه الوسائل و ..
قاطع (سيرجي) في صرامة :

— أعلم أنهم يعتبرونني أقرب إلى رجال العصابات منى
لرجال المخابرات ، ولكنهم يعترفون بقدرتي على إنجاز المهام في
كفاءة ، وهذا ما يجعلهم يتجاوزون عن أساليبى .
وأردف في ضيق :

— ثم إننى أفعل ذلك من أجل الوطن .
تردد (ألكسندروف) لحظة ، ثم قال :

— لا أيها الكوبرا .. إنك تفعل هذا من أجل نفسك ،
فالوطن لا يظالمنا بأن نكون طغمة من الأوغاد .

صاح (سيرجى) فى غضب :
 — كفى أيها الرفيق .. لاتنس أننى قائدك .
 ثم استعداد بروده بسرعة ، وهو يردف :
 — وستطيع أوامرى ، سواء شئت أم أبيت .
 زفر (ألكسندروف) فى ضيق ، وقال :
 — حسناً أيها الرفيق (سيرجى) .. ماذا علينا أن نفعل ؟
 ابتسم (سيرجى) فى ظفر ، وقال :
 — سنحتفظ بالفتاة وننتظر يا (ألكسندروف) .. حتى
 يرحل ذلك البطل السابق وحده .
 عاد (ألكسندروف) يعقد حاجبيه وهو يغمغم :
 — هل تظن أنه سيتركها ويرحل ؟
 تألقت عينا (سيرجى) فى ثقة ، وهو يقول :
 — لقد جعلته مدمناً يا (ألكسندروف) ، ولن يفكر من
 الآن فصاعد إلا فى نفسه .
 وأردف فى مزيج من السخرية والشماتة والظفر :
 — لقد انتهى ضابط المخابرات المصرى ، الذى فاقت
 شهرته الآفاق يا (ألكسندروف) ..
 لقد انتهى البطل .

الفصل الثالث

الإرادة

١ - قبضة الشيطان ..

- لقد رحل .
هتف (ألكسندروف) بهذه العبارة في انفعال المنتصر ،
وأردف وهو يلمح بريق الظفر في عيني (سيرجي) .
— لقد رأيت بنفسي وهو يصعد إلى الطائرة ، وانتظرت حتى
أقلعت ، ثم هرعت إلى هنا لأخبرك .
ابتسم (سيرجي) في برود ، وهو يقول :
— وكنت أعلم هذا .
ثم رفع عينيه إلى (ألكسندروف) ، وسأله في اهتمام :
— هل التقطت صورته كما أمرتك ؟
التقط (ألكسندروف) من جيبه صورة فوتوجرافية ، ناوفا
إلى (سيرجي) ، وهو يقول في حماس :
— بالطبع أيها الكوبرا .. لقد كان مشهداً تاريخياً يستحق
التسجيل .
ضاقت عينا (سيرجي) ، وهو يتأمل الصورة في اهتمام ..

كانت تمثل (أدهم) ، وهو يستند في ضعف إلى كتف
الملحق الطبي ، والألم والحزن يطلآن من وجهه بغزارة ، وهما
يصعدان سلم الطائرة ، فابتسم (سيرجي) في ظفر ، وقال
في هدوء :

- الآن فقط يمكنني القول إننا قد انتصرنا .
غمغم (ألكسندروف) في توثر :
— ولكننا لم نحصل على الصندوق الأسود .
ظهر الغضب على وجه (سيرجي) ، وقال في جدّة :
— المصريون أيضاً لم يحصلوا عليه .. المهم أننا هزنا بطلهم .
ثم أردف في فخر :
— لقد اختطفنا زميلته منذ أسبوع كامل ، وهو لم يحاول
إنقاذها قط ، وهذا أكبر دليل على تحطمه .
ابتسم (ألكسندروف) مجاملاً ، وقال :
— حسناً أيها الرفيق .. هل يمكننا العودة إلى (موسكو)
الآن ؟
أوماً (سيرجي) برأسه إيجاباً ، وقال :
— بالطبع أيها الرفيق .. لقد انتهت مهمتنا .. انتهت بنجاح .



ولكن قبضة (أدهم) تحركت في سرعة مذهلة، وشعر (ألكسندروف) بقبضة فولاذية تطبق على عنقه، وبقوة خارقة تنزعه من مقعده ..

غادر (ألكسندروف) مكتب شركة الطيران اليوجوسلافية، حاملاً تذاكر السفر، وقفز داخل سيارته الصغيرة، وهو يغمغم في سخط:

— لقد بالغ الكوبرا كثيرًا هذه المرة .. إنني أرغب كلما تخيلت غضب الرؤساء في (موسكو).

وامتدت يده لتدير محرك سيارته، ولكنها تسمرت في طريقها، وجحظت عيناه في رعب، وهو يحدق في مرآة السيارة ..

فهناك .. على المقعد الخلفي، برز فجأة وجه صارم حازم، يتخذه بنظرات قاسية غاضبة ..

آخر وجه يتوقع (ألكسندروف) رؤيته في هذه اللحظة، وهذا المكان ..

وجه (أدهم صبرى) ..

أسرعت يد (ألكسندروف) إلى مسدسه، ولكن قبضة (أدهم) تحركت في سرعة مذهلة، وشعر (ألكسندروف)

بقبضة فولاذية تطبق على عنقه، وبقوة خارقة تنزعه من مقعده، وتلقى به على المقعد الخلفي للسيارة ..

حاول أن يصرخ مستجداً ، وقد وصل رعبه إلى الذروة ،
ولكن قبضة (أدهم) هوت على فكه كالصاعقة ، ودارت
عينا (ألكسندروف) في محجريهما ، وشعر بمذاق الدم في
فمه ، وبصق ثلاثاً من أسنانه المخطمة ، وغمغم في ضيق
وضراعة ورعب :

— الرحمة !! الر ...

وابتلع الجزء الثاني من كلمته ، حينما غاصت قبضة (أدهم)
اليسرى في معدته ، وارتفعت اليمنى لتهدم أنفه في قوة ..
اصطبغت الدنيا بلون الدم أمام عيني (ألكسندروف) ،
واكتفه دوار شديد ، وتضاعف رعبه حتى كاد قلبه يتوقف
عن النبض ، حينما جذبه (أدهم) إليه في قوة ، وتطلع إلى عينيهِ
في صرامة ، وهو يقول في لهجة جمّدت ما بقى من الدماء في
عروقه :

— ما اسم الرجل الذي يعمل لحسابكم ، في إدارة شرطة
(بلغراد) ؟

لم يتردّد (ألكسندروف) لحظة ، وهو يتف في رعب :

— (تينو) .. المفتش (تينو) في الإدارة العامة .

عاد (أدهم) يسأله في صرامة مخيفة :

— هل يعرفك شخصياً ؟

أوماً (ألكسندروف) برأسه في ذعر ، وهو يتف :

— نعم .. نعم .

ابسم (أدهم) ابتساماً ارتجف لها قلب (ألكسندروف) ،
وسقط بين ضلوعه ، وهو يقول في هدوء مخيف :

— حسناً أيها الوغد .. هذا يكفي .

ثم انفجرت قبضته كالقنبلة في وجه (ألكسندروف) .

* * *

شحب وجه المفتش (تينو) ، وهو يحدق في وجه
(أدهم) ، الذي تحوّل — بفضل براعته المذهلة في التنكّر —
إلى صورة طبق الأصل من (ألكسندروف) ، وهتف في
صوت خافت مرتبك ، وهو يختلس النظر إلى زملائه في إدارة
الأمن العام .

— ماذا دهاك أيها الرفيق (ألكسندروف) ؟ .. ليس من
الصواب أن تأتي إلى هنا ، إنك تضعني في موقف بالغ
الحساسية .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وخرج من بين شفثيه صوت يماثل
صوت (ألكسندروف) بدقة مذهشة ، وهو يقول في صوت
خافت ، اصطغ بالغضب :

— إنك تنقاضي من مخبراتنا مبلغًا باهظًا ، يمنحنا حق طلب
خدماتك في أية لحظة .

تطلّع (تينو) إلى رفاقه في دعر ، ولوح بكفه ، وهو يهتف
في صوت أقرب إلى الهمس :

— حسنًا أيها الرفيق (ألكسندروف) .. حسنًا .. ماذا
تطلب مني بالضبط ؟

قال (أدهم) في صرامة :

— أريد أحد متعلقات الفواصين الثلاثة ، الذين عثرتم على
جثثهم ، في حادث انفجار اليخت .

ازداد شحوب وجه (تينو) ، وهو يغمغم في دعر :
— ولكن هذا مستحيل أيها الرفيق .. هذه المتعلقات
محرّزة و....

قاطعه (أدهم) في حزم :

— هل ترفض ؟

جفّف (تينو) عرقه في توثر ، وغمغم :
— إنني لا أملك إعطائك إيّاها أيها الرفيق .. إن جميعها

مسجلة و....

عاد (أدهم) يقاطعه في جدّة :

— ومن قال إنني سأخذها ؟ .. إنني أريد رؤيتها فحسب .
هتف (تينو) في ضراعة :

— حسنًا أيها الرفيق ، ولكن اخفض صوتك .. أرجوك .
ثم أشار إلى حجرة جانبية ، وقال :

— هيّا إلى مكثي .. وسأطلب من المعمل الجنائي إرسالها ،
بحجة دراسة القضية .. هل يرضيك هذا ؟

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— نعم أيها الرفيق (تينو) .. يرضيني تمامًا .

* * *

أشار (تينو) إلى المتعلقات ، التي أحضرها المعمل
الجنائي ، وقال في توثر :

— ها هي ذى كل المتعلقات أيها الرفيق (ألكسندروف) .

تألّقت عينا (أدهم) في ظفر ، وهو يلتقط جهاز الإرشاد
الصغير ، الذي يشبه ساعة اليد ، وقال بصوته الأصلي :

— هذه تكفي أيها الوغد .

تراجع (تينو) في ذهول ، وهو يهتف :

— يا للشيطان !!! .. إنك لست (ألكسندروف) .

دسّ (أدهم) الجهاز في جيب معطفه ، وهو يقول في هدوء :

٢ — شيطان الغضب ..

لم يكدر زين الهاتف يرتفع في منزل (سيرجي) ، حتى التقط سماعته ، وهتف في جدة :

— من المتحدث ؟

وما إن أناه صوت مجذته ، حتى قال في غضب :

— ماذا أصابك يا (ألكسندروف) ؟ .. لقد اقرب

منتصف الليل ، وأنا أنتظر منذ الصباح .

أجابته (أدهم) متحلاً صوت (ألكسندروف) ولهجته :

— هناك أمور تحتاج إلى تصفيها قبل أن تعود إلى (موسكو)

أيها الكوبرا ، سأحاول الانتهاء منها بسرعة ، وسأعود في الثانية

صباحاً ، وستنطلق طائرنا في الفجر .

غمغم (سيرجي) في سخط :

— حسناً .. إنني أنتظر .

ثم وضع سماعة الهاتف في جدة ، واستدار إلى (منى) ،

التي تجلس مقيدة على مقعد قريب ، وقال في برود :

— كفى عن البكاء يا فتاتي .. سنتهى متاعبك قبل فجر الغد .

— بالطبع أيها الوغد .. إنني أكرهه أن أتشبه بهذا الحقير .

انتزع (تينو) مسدسه ، وصوبه بأصابع مرتجفة إلى (أدهم) ، وهو يقول في ذعر :

— لقد .. لقد خدعتني .

وفجأة طار مسدسه إثر لكمة من قبضة (أدهم) ، التي

انطلقت مرة أخرى ، لتغوص في معدته ، ثم عادت ترتفع ،

وتقض مرة أخرى على المكان نفسه ..

تأزّه (تينو) في ألم وذعر ، ورفع عينيه اللتاغتين إلى

(أدهم) ، الذي جذبته إليه في قوة ، وحدق في عينيه بحزم

رهيب ، وهو يقول في صوت صارم قاس :

— أنت خائن يا (تينو) .. وأنا أكره الخونة والحيانة ،

وأريد منك أن تعلم أنني سأحطّمك .

فصح (تينو) فمه ليصرخ مستجداً ، ولكن قبضة

(أدهم) القولاذية أحرسته ، وحطمت فكّه في آن واحد ، ثم

اعتدل (أدهم) ، وتألقت عيناه في غضب وصرامة ، وهو

يغمغم :

— لقد اقرب موعد نزع أنيابك أيها الكوبرا !!

* * *

قالت في غضب

— إننى أكره صوتك البغيض ، ووجهك الحقير

ابتسم فى برود ، وقال :

— ستخلصين من كل هذا قبل الفجر يا فتاتى .

ثم انتزع مسدسه ، وجذب إبرته ، وهو يردف فى هدوء :

— سأحطّم رأسك الجميل ، قبل أن تغادر هذا المنزل

تماما .

* * *

كان المفتش (جوزيف) مستغرقاً فى نوم عميق ، عندما شعر

بجسم معدنى بارد يلتصق بجبهته ، ففتح عينيه فى ببطء ، ولكنه لم

يلت أن قفز من فراشه ، وملاحظته تشف عن ذهول شديد ،

وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى قال فى هدوء صارم :

— مهلاً أيها المفتش .. سأطلق النار عند أول بادرة للمقاومة .

هتف المفتش (جوزيف) فى صوت مبجوح :

— ماذا تريد ؟ .. إننى لا أملك شيئاً .

ألقي إليه (أدهم) بورقة مطوية ، وهو يقول :

— أنا أملك شيئاً يهتك أيها المفتش .

التقط المفتش الورقة ، وفضها فى ارتباك ، وتطلّع فى دهشة



ثم انتزع مسدسه ، وجذب إبرته ، وهو يردف فى هدوء :

— سأحطّم رأسك الجميل ، قبل أن تغادر هذا المنزل تماماً ..

إلى الأسماء المدونة بها ، ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، وهو يقول
في دهشة :

— ما هذا ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— قائمة بأسماء كل عملاء الـ (كى . جى . فى) فى (بلغراد) .

اتسعت عينا (جوزيف) فى ذهول ، وعاد يتطلع إلى

الورقة فى لففة ، وهو يتف :

— يا إلهى !! كل هؤلاء ؟ .. ولكن كيف حصلت

عليها ؟ .. إنها مستند بالغ الخطورة و ...

بتر عبارته بمزيد من الدهول ، وهو يتطلع إلى الحجرة

الخالية ، ثم أسرع إلى نافذة حجرته المفتوحة ، ونظر إلى

الطريق الخالى فى دهشة ، قبل أن يغمغم ..

— يا إلهى !! لقد تبخر .. اختفى ..

ثم عاد يتطلع إلى الورقة فى خيرة ، واندفع إلى هاتفه ،

وطلب رقم إدارة الأمن العام ، ولم يكده يسمع صوت محدثه

حتى قال فى صوت ينم عن الاهتمام واللهفة :

— (بروس) .. اسمعنى جيّداً .. بين يديّ مستند بالغ

الخطورة .. أريد منك أن توقظ النائب العام ، وتطلب منه أمر

اعتقال جماعى .. انتظر .. سأملك كل الأسماء .

وفوق الحافة الضيقة ، المجاورة لنافذته من الخارج ، ابتمسم
(أدهم صبرى) ، وتألقت عيناه فى ظفر .

دقت ساعة الحائط فى منزل (سيرجى كوروبوف) ، معلنة

تمام الثانية صباحاً ، فالتقى حاجباه ، وهو يقول فى حنق :

— لقد سمنت هذا الانتظار .. أين ذهب ذلك

السخيف (ألكسندروف) ؟

أتاه صوت (أدهم) يقول بصوت (ألكسندروف) :

— هأنذا أيها الرفيق .. فى موعدى تماماً .

التفت إليه (سيرجى) فى جدّة ، وسأله فى صرامة :

— هل أحضرت التذاكر ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يناوله التذاكر .

— ها هى ذى .

التقط (سيرجى) التذاكر فى برود ، وألقى عليها نظرة

فاحصة ، احتقن بعدها وجهه ، وهو يقول فى غضب :

— أيها الغيبى .. ألا تحيد القراءة ؟ .. لقد فاتتنا الطائرة ..

لقد كان موعدهما فى الواحدة صباحاً ، وليس فى الفجر .

أجابه (أدهم) فى برود :

— أعلم ذلك .

تطلع إليه (سيرجى) فى دهشة ، ثم هتف فى غضب :
 — كيف تجرؤ .. ؟
 قاطعه (أدهم) فى برود :
 — هناك ما هو أهم من الطائرة أيها الكوبرا .
 ثم أخرج يده من خلف ظهره ، وألقى بجسم أسود أمام
 (سيرجى) ، وهو يردف :
 — الصندوق الأسود .
 نَقَلَ (سيرجى) عينيه بين (أدهم) والصندوق الصغير
 فى ذهول ، ثم انحنى يلتقطه فى هفّة ، وهو يهتف :
 — كيف حصلت عليه ؟
 ثم أردف فى غضب :
 — ولكنه فارغ .. أين محتوياته ؟
 أجابه (أدهم) مستخدماً صوته الحقيقى :
 — إننى أحفظ بها أيها الكوبرا .
 اتسعت عينا (سيرجى) فى ذهول ، وتراجع فى جِدّة ،
 وهو يقول :
 — هذا مستحيل !! مستحيل .
 واختلج قلب (منى) بين ضلوعها ، وهى تهتف فى سعادة وهفّة :

— (أدهم) !! .. هل أحلم ؟
 انتزع (أدهم) القناع المطاطى الرقيق ، الذى يحمل وجه
 (ألكسندروف) ، وقال فى صرامة ، وحزم :
 — لا يا عزيزتى .. إنها حقيقة .. أنا (أدهم) ..
 (أدهم صبرى) .



٣ - أنياب الكوبرا ..

كان وقع المفاجأة دهيًا على (سيرجي) ، حتى أن قناع الجمود الذي يضعه على وجهه قد سقط دفعة واحدة ، وهو يحدق لى وجه (أدهم) بذهول ، قبل أن يهتف فى دهشة :
— هذا مستحيل !! أنت رجل مدمن .. ثم إنك قد رحلت .

أشار (أدهم) إلى القناع المطاطى ، الملقى على الأرض ، وقال فى سخرية :

— هل تعتقد أن مدمنًا يمكنه صنع مثل هذا القناع أيها الوغد ؟

ثم أردف فى صرامة :

— لقد خدعتك أيها الكوبرا .. إن من رجل إلى القاهرة صباح اليوم ليس إلا زميلى الملازم (خالد) ، بعد أن بدلت ملاحه ، وصنعت منه نسخة طبق الأصل منى .

هتف (سيرجي) فى جدة :

— إنك تحاول خداعى .. أراهنك أنك ستتهار بعد لحظات ، طلبًا للمخدر .

صاقت عينا (أدهم) ، وهو يقول فى صوت مخيف :

— لا تغدّر بعد الآن أيها الكوبرا .. لقد تخلّصت من سمومك تمامًا .

صاح (سيرجي) فى شك :

— هذا مستحيل .. علاج الإدمان يستغرق شهرين على الأقل و....

قاطعته (أدهم) فى صرامة :

— هذا هو المسار الطبيعى للعلاج أيها الوغد ، ولكنك أجبرتنى على اتخاذ أقصر الطرق وأخطرها ، حينما اختلطت

(منى) .

اختلج قلب (منى) فى سعادة ، وتطلّعت إلى (أدهم) فى حب وامتنان ، وهو يستطرد :

— لقد ألمسى كثيرًا أن يخطئف ذلك الحقيق

(الكسندروف) (منى) أمام عينى ، وأنا عاجز عن إنقاذها

بسبب مخدرك اللعين ، ولقد أقسمت فى هذه اللحظة

الآتسرى فى دمانى نقطة واحدة منه بعد ذلك .

اتسعت عينا (سرجى) فى دهشة ، فى حين أردف
(أدهم) فى عزم :

— ولقد كدت ألقى حتى بالفعل ، وانهار جسدى تماما ،
وأنا أقاوم رغبتى فى هذا السم ، ثم فقدت الوعي ، وظلمت
كذلك يومين كاملين ، وشاء الله (العلى القدير) أن أفيق
بعدهما ، وقد نجوت من سُمك تماما أيها الكوبرا .

وتحوّلت لهجة (أدهم) إلى صلابة الفولاذ ، وهو
يردف :

— وكان على أن أنتقم .

غمغم (سرجى) فى شرود :

— تنتقم !؟

أجاب (أدهم) فى حزم وصرامة .

— نعم أيها الكوبرا .. لقد هتّمت رجلك الأول
(ألكسندروف) ، وعثرت فى جيب هذا الغنى على قائمة
بأسماء كل رجالكم فى (بلغراد) ، وبدأت بتحطيم أقواهم ،
المفتش (تينو) ، أما الباقون ، فهناك حملة اعتقالات واسعة
تجرى لاصطيادهم الآن ، بقيادة المفتش (جوزيف) .

هت (سرجى) من شدة انفعاله ، وهو يهتف :

— يا للشيطان !!

قال (أدهم) فى سخرية واضحة :

— لم يكن هذا يكفينى أيها الكوبرا .. لقد نجحت أيضا فى
الغور على الصندوق الأسود ، بمعاونة ذلك الحفير (تينو) ،
وانزعت منه كل الأفلام الخاصة بمنشآتكم العسكرية ،
وعطوئنا الدفاعية .

وتألقت عيناه ببريق ساخر ، وهو يردف :

— ولقد حرصت على إرسال نسخة من صور منشآتكم
العسكرية إلى رؤسائك فى (موسكو) مع تحياتى ، وأعتقد أن
هذا سيثير جنونهم .

عقد (سرجى) حاجبيه ، وهتف فى غضب :

— إلى (موسكو) !؟

ابتسم (أدهم) فى صرامة ، وقال :

— لم يكن يكفينى إلا لتحطيمك تماما أيها الوغد .

وفجأة انتزع (سرجى) مسدسه ، وصرخ وهو يطلقه
نحو (أدهم) :

— مادمت قد انتهيت ، فلنذهب إلى الجحيم معا أيها
الشیطان المصرى .

لو أن (سيرجى كوروبوف) فعل هذا منذ أسبوع واحد فقط ، عندما كان (أدهم صبرى) أسيرًا تحتل الكوكابين ، لأصاب منه مقتلاً فى سهولة ويسر ..

ولكن الكوبرا كان يواجه هذه المرة رجلاً آخر ..

يواجه (رجل المستحيل) ، التى تمتلئ عروقه بالغضب ، والثورة ، والرغبة فى الانتقام ..

كان يواجه قبيلة ذرية حية ، تحمل اسم (أدهم صبرى) ..

قفز (أدهم) جانباً فى مهارة مذهلة ، متفادياً الرصاصة القاتلة ، ثم غاص بجسده إلى أسفل ، متفادياً رصاصة أخرى ، وانفض كالصاعقة على (سيرجى كوروبوف) ، وبضربة قوية أطاح بجسده ، ثم هوى بقبضته اليمنى على فك (سيرجى) ، وأعقب ذلك بلكمة ساحقة على أنفه ، وثالثة فى معدته ، ورابعة فى صدره ..

وسقط (سيرجى) على ركبتيه ، ولوح بكفه وهو يهتف فى

ضعف :

— كفى .. كفى .. إننى أستسلم .

ثم استعاد نشاطه بغتةً ، وقفز نحو (منى) ، وانتزع من سترته خنجرًا ماضيًا ، وجذب (منى) من شعرها فى قسوة ،

جعلتها تصرخ ألماً ، ووضع نصل خنجره على عنقها ، وهو يهتف فى شراسة :

— حذار أيها الشيطان المصرى ، وإلا بترت عنقها بضربة واحدة .

قال (أدهم) فى غضب هادر :

— حذار أن تمسها أنت أيها الوغد ، وإلا جعلتك تندم على

اليوم الذى وُلدت فيه .

أطلق (سيرجى) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— إنك لم تترك لى ما أخسره أيها الشيطان المصرى .

تألقت عينا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

— بل .. هناك حيائك أيها الكوبرا .

ارتجفت عضلات وجه (سيرجى) لحظة ، ثم صاح فى

حنق :

— إلى اللقاء أيها الشيطان المصرى .. لن أسمح لك بالفوز

فى المرة القادمة .

وبقفزة بارعة رشيقة ، اخترق زجاج النافذة المجاورة ،

وهبط إلى حديقة المنزل ، وقفز (أدهم) بيلتقط المسدس الملقى

أرضاً ، وهو يقول :

— لن تكون هناك مرة قادمة أيها الكوبرا ..
وقفز خلفه في إصرار ..

كان الظلام والصمت يجيمان على الحديقة تمامًا ، ولكن
(أدهم) كان يعلم أن (سيرجي) هناك ، في مكان ما ..
وحس (أدهم) أنفاسه ، وهو يتنقل بصره في أنحاء
الحديقة ، ثم تحرك في ببطء وهدوء ..

وفجأة رأى خنجر (سيرجي) يندفع نحوه ..

قفز (أدهم) جانبًا ، وسمع صوت الخنجر ، وهو يرتطم
بجدار المنزل ، ثم اندفع نحو (سيرجي) ، الذي غادر مكانه
خلف إحدى الأشجار ، وانطلق يعدو نحو سيارته ..

وقبل أن يلحق (أدهم) به ، فتح (سيرجي) باب
السيارة ، والنقط من داخلها مسدسًا صامتًا ، أطلق منه
رصاصة نحو (أدهم) ، الذي ألقى نفسه أرضًا ، وسمع
صوت الرصاصة تمرق فوق رأسه تمامًا ، ولم يكذب يعتدل ، حتى
كان (سيرجي) قد انطلق بسيارته في مهارة ..

ورفع (أدهم) مسدسه في سرعة ، وصوبه في دقة وهدوء
إلى السيارة ..



وبفكرة بارعة رشيقة ، اخترق زجاج النافذة المجاورة ،
وهبط إلى حديقة المنزل ..

كانت يده ثابتة كالفلولاذ ، والثقة في إحكام ..

وأطلق رصاصتين ، لم تخطئ أيهما هدفها ..

أصابت الأولى إطار السيارة ، فانحرفت في جِدة ،

وأصابت الثانية خزان الوقود تمامًا ..

ودوى انفجار هائل ، في ذلك الحى الهادئ ، في

(بلغراد) ..

انفجار اهتز له الحى كله ، وتألقت أضواؤه على وجه

(أدهم) ..

واندلعت النيران في سيارة (سيرجى) ..

وغمغم (أدهم) في هدوء :

— وداعًا أيها الكوبرا .. لقد سقطت أنيابك أخيرًا .



٤ — الختام ..

نهض مدير المخابرات المصرية من خلف مكتبه ، وصافح
(أدهم) في حرارة ، وهو يتسم ابتسامة واسعة ، وهتف في
تقدير :

— لقد كنت رائعًا هذه المرة يا (أدهم) .. لقد بهرت
الملحق الطبي لسفارتنا في (يوجوسلافيا) .. إنه يقول إنك
تمتلك أقوى إرادة رآها في حياته كلها .

ابتسم (أدهم) في هدوء ، وهو يقول :

— شكرًا يا سيدي ، ولكن هذه المهمة بالذات كانت تبدو
لي عجيبة ، فظهور رجال (سكوربيون) ، ثم (سيرجى) ،
ووسيلته الحفيرة في تحطيمى .. كل هذه الأحداث تلاحقت في
سرعة ، حتى أنني لا أذكر منها الكثير .

رُبت مدير المخابرات على كتفه ، وقال :

— ولكنك أنجزت المهمة بنجاح ، واستعدت أسرارنا .
أومأ (أدهم) برأسه ، وهو يقول :

— نعم ياسيدي ، ولقد أصبحت أبيض الخدرات تماما ،
واعتقد أنه سيكون من سوء حظ من يتعامل بها ، أن يوقعه قدره
في طريقى ، بعد تلك التجربة المريرة ، التى مرزت بها .
مطاً مدير الخبابرات شفتيه ، وقال :

— بالطبع يا (ن - ١) .. الخدرات هى أشنع خطر
يواجه الشباب فى عصرنا هذا ، وكل منهم لا يدرك أنها
تخطئه ، وتتزع منه شبابه وحيويته ، ويتصور أنها نوع من
المتعة .

قلب (أدهم) شفتيه فى امتعاض ، وهو يغمغم :

— وبئس المتعة .. إنها قتل بطيء ياسيدي .

غمغم مدير الخبابرات :

— هذا صحيح يا (أدهم) .

ثم سأله فى اهتمام :

— مارأيك فى الملازم (خالد) ؟ .. هل كان صالحاً

للمهمة ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— بالتأكيد .. إنه شاب رائع ، وسيكون له شأن كبير فى

عالم الخبابرات .

انتفخت أوداج مدير الخبابرات ، وهو يقول :

— إنه ابنى يا (أدهم) .. ابنى الأكبر .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— أعلم ذلك ياسيدي ، فقد قرأت تقاريره كلها ،

ولكننى — معذرة — لم أضع ذلك فى تقييمى له ، ولم أحاول

معاملته بأى نوع من التمييز .

ابتسم مدير الخبابرات فى فخر ، وقال :

— كنت أعلم هذا يا (ن - ١) ، ولذلك لم أخبرك به .

أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يقول :

— إنه ممتاز ، يحتاج إلى قليل من الخبرة العملية ، ويتحول

إلى (رجل مستحيل) آخر .

ثم أردف ، وهو يتسم ابتسامة شاحبة .

— ولكننى كنت أفضل العمل مع النقيب (منى) .

لوح مدير الخبابرات بكفه ، وهو يقول :

— لا بأس يا (أدهم) .. ستمعلان معاً فى المهمة

القادمة .

اتسعت عينا (أدهم) ، وهو يتف :

— ولكن !!

قاطعہ مدیر المخبرات ، وهو يتسم في حنان أبوي :

— لقد طلبت إلغاء استقالتي يا (أدهم) ، ووافقت أنا .

ارتفع حاجبا (أدهم) في حنان ، وهو يهتف في امتنان :

— كيف أشكرك يا سيدي ؟

ابتسم مدير المخبرات ، وهو يقول :

— لا تشكرني يا ولدي .. إنها تستحق ذلك .

ثم أردف في صوت حاسم :

— أليست هي من نزعث سم الكوبرا ، من جسد (رجل

المستحيل) ؟

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩